دفع الإشكال المتوَجِّه على خطبة البيان والإفتخارية والتطنجية

(بحث بكرٌ في تصنيفه، فريد في إستدلاله العلمي حول الخطب الثلاث التي أثارت حفيظة الكسالى من العلماء القشريين).

سماحة آية الله المرجع الفقيه المحقق الشيخ محمّد جميل حمُّود العاملي دامت تأييداته

السائل: أحمد الموسوي

النص: باسمه تعالى والحمد له وكفى والصلاة الدائمة على محمد المصطفى وعلي المرتضى وآلهما واللعنات الأبدية على شجرة الزقوم الأموية..

السلام عليكم شيخنا الأكبر ورحمة الله وبركاته

ما هو مصدر خطبة البيان ؟ أمَّا التطنجية والافتخارية فموجودتان في كتاب مشارق الأنوار المستطاب للحافظ رجب البرسي قدس سره.

وإجمالاً هل خطبة البيان واخواتها أعني التطنجية والإفتخارية من الروايات المعتبرة التي يطمئن بصدورها عن معدن العلم والفهم والفصاحة والبلاغة ؟ أم أنَّه كما ادَّعى البعض أنها من وضع الغلاة الكذابين ؟ وما هو رأيكم بكتاب خطبة البيان في الميزان للسيد جعفر مرتضى العاملي ؟

نأمل منكم كشف الظلمة بالإجابة على هذه الأسئلة والسلام خير ختام.

عبد المولى علي عليه السلام

أحمد الموسوي

الموضوع العقائدي: (دفع الإشكال المتوَجِّه على خطبة البيان والإفتخارية والتطنجية)

بسم الله جلَّت عظمتُه

والحمد لله والصلاة على رسوله محمّد وآله الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم إلى قيام يوم الدين إلى العلامة الجليل والفاضل النبيل السيِّد أحمد الموسوي دامت بركاته...

السلام عليكم ورحمته وبركاته..

مقدمة وجيزة:

أقول وبالله تعالى أستعين وبالنبيّ وآله أستجير: تعاني ساحتنا الشيعية اليوم الكثير من التعقيدات والشكوك العقديَّة والإضطرابات الفقهية والتاريخية بحيث لا يسلم شيءٌ من شيء، فحتى المسلَّمات أُقحِمَت إليها الشكوك، والشكوك والظنون لواقحُ الفتن ومكدِّرة لصفو المنائح والمنن، وسبب إنتشار الشكوك هو ضعف اليقين بمقامات آل الله تعالى عنيت بهم رسول الله وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام فهم آل الله تعال.

بالإضافة إلى ذلك:إنَّ حوزاتُنا العلميَّة – بشتى أصنافها ومشاربها – تعاني من الضعف العلمي في مجالي الفقه والعقيدة، ولقد لمسناه عند الكثير من المنتسبين إلى علوم أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام من خلال بحوثهم الإستدلالية وأجوبتهم على المسائل الفقهية والعقدية، وليس من الصدفة أن يولد في حوزاتنا أُناس أفرزتهم جهاتٌ ذات طابع أشعري ومعتزلي وصوفي لأجل التلاعب بمقدراتنا التاريخية والعقدية والفقهية ليتسنى لهم الهيمنة الفكرية على القواعد المؤمنة فيخرجونها من نور الولاية إلى ظلمة العامة العمياء جنود إبليس! لا لشيءٍ سوى تكثير الجموع من هنا وهناك لأجل الحكم ليتقاسموه فيما بينهم ولو كان على حساب التشيع والشيعة، فلا يهمهم أمر التشيع بمقدار ما يهمهم إرضاء الخطِّ البكري والعمري لأجل رغبتهم بالسلطة والشهرة في البلاد، وقد تحقق ذلك لهم، فقلبوا الشريعة رأساً على عقب بتشكيكاتهم في كلّ شيء عبر مؤسسات إعلامية وزرع شخصيات ظاهرها علميٌّ وباطنها أشعريٌّ يعتمد على العقل في إستنتاجاته، وما لا يقبله عقله فلا وجود له في الشريعة حتى ولو كان مدعوماً بألف دليلٍ وبرهان، فصارت أفكارهم هى كعبة القاصدين من هواة الدين والمتمظهرين بشعائره ونسكه، فسَّهلوا عليهم أمور الدين فأباحوا لهم المحذورات القطعية في الكتاب والسُنَّة، فصار الحلالُ حراماً والحرامُ حلالاً...كلُّ ذلك بإسم الدين والتمسح بأذياله الشريفة التي يحاول هؤلاء العفاريت تدنيسها..وهيهات ثم هيهات وأنَّى لهم ذلك قاتلهم الله أنَّى يؤفكون..!!! إن دين الله لا يُصاب بالعقول والأقيسة والظنون والشكوك، وسيبقى هذا الدين منيعاً ما بقي له رعاةٌ أتقياءٌ عارفون بمقامات أقطابه الميامين ودعائمه المطهَّرين الذين لولاهم ما عُرِف الله، ولولاهم ما وحِّد الله تعالى، فالتّوكّل على الله تعالى والإستنجاد بأهل بيت العصمة والطهارة صلَّى الله عليهم أجمعين والأخذ ممن تمسكوا بأذيالهم المقدّسة من العلماء العارفين بمقاماتهم الشريفة هما الدعامتان القويتان اللتان بهما يمكن التغلب على أولئك العفاريت، فيلزمنا في حوزاتنا علماء شجعان للدفاع عن آل الله تعالى ومعارفهم الطاهرة..

إن الشيعة بحاجةٍ إلى علماء غيارى على آل محمد عليهم السلام...علماءٌ رهبان بالليل، وليوث في النهار، مأمونون على الدين والدنيا، لا تأخذهم في الله لومة لائم، أمّا الذين باعوا أنفسهم للشيطان ولموائد الدنيا فركبوا مراكب العامة فلا يجوز الأخذ منهم ولا المشي في ركابهم قال تعالى (فلينظر الإنسان إلى طعامه إنّا صببنا الماء صبّاً..) حيث أمرت بالطعام الطاهر والزكي، ولا يقتصر الطعام على المادي منه فحسب، بل شمل العلوم والمعارف حيث هو أوجب بالزكاة والطهارة من الطعام المادي، فعن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام في تفسيره لهذه الآية في صحيحة زيد الشحام قال:(علمه الّذي يأخذه عمّن يأخذه). تفسير البرهان ج429/4 .

وبناءً عليه: فإنَّ بعضاً من أهل العلم ممن لم تدخل حلاوة علوم آل محمّد (صلوات الله عليهم) إلى قلوبهم، ولم يتربوا على أخبارهم بل قضوا أعمارهم في مطالعة أخبار العامة والتفاعل معها دون أخبار أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، فأثّر ذلك في نفوسهم فزادتها كدراً على كدرها، وظلمة على ظلمتها {..ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ }النور40؛ لذا لم يتأثروا بأخبار آل محمّد صلَّى الله عليهم،

قال تعالى حكايةً عنهم (وإن يروا كلّ آية لا يؤمنوا بها) الأنعام/25 (وإن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلاً) الأعراف/ 146(وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً) (وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم) الطور 44 (وإن يروا آيةً يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) القمر 2 .

(وقال موسى ربنا إنّك آتيت فرعون وملأه زينةً وأموالاً في الحياة الدنيا ربّنا ليُضلوا عن سبيلك، ربّنا اطمس على أموالهم واشدُد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتّى يروا العذاب الأليم) يونس/ 88.

الشروع في الإجابة:

إنَّ الخُطَبَ الثلاث المتقدِّمة الذكر في غاية البلاغة العالية التي لا يحيط بمفرادتها إلَّا القلائل من أعلام هذه الأمة الذين حباهم اللهُ تعالى فهمَ الكتاب والسُنَّة النبوية والولوية، وألهمهم لحن كلام آل الله تعالى، وأمَّا المستغرقون بالقشور دون اللب والبطون فلا كلام لنا معهم لأنهم لا يؤمنون ولو جئتهم بألف بيِّنةٍ ودليل....فهم دائماً رافضون وللحق كارهون ولأسرار آل الله تعالى منكرون..لا سيَّما وأن ما جاء في الخطبة التطنجية من الأسرار والمعاجز العلوية ما تبهر العقول وتخمد النفوس الملتهبة..وسبب تسميتها بالتطنجية إنما يُعلَم من نفس تسميتها بالتطنجين الذي يعني البحر الواقع وراء طنجة التي هي المغرب العربي أو مكانٍ آخر في العوالم الأُخرى كجابلقا وجابرسا [1]، أو عالم ملكوتي فوق الأرض، وهو المتعيَّن لقرائن متوفرة في الخطبة التطنجية كما سوف ترون، والتطنُّج لغةً:"**هو التنوُّع في الكلام والتفنن في فنون شتى**.."؛ وقد فعل ذلك الإمام أمير المؤمنين سيّدنا المعظَّم إمام المتقين عليّ صلَّى الله عليه وآله حيث استعمل إمامُ البلاغة عليُّ بن أبي طالب صلوات الله عليه وآله بلاغتَه الرائعة حينما أسرى به الله تعالى إعجازاً وكرامة له بروحه وجسمه إلى تلك البقعة المباركة ليطلعه على عجيب مخلوقاته بدلالة قوله عليه السلام في الخطبة المذكورة الشريفة:(أنا الواقف على التطنجين..أنا الناظر إلى المشرقين والمغربين، رأيتُ رحمةَ الله والفردوس رأي العين وهو في البحر السابع يجري في الفلك في زخاخيره النجوم والحبك، ورأيت الأرض ملتفة كإلتفاف الثوب القصور).

خطبة البيان:وهي أيضاً كالخطبة التطنجية في بلاغتها وإعجازها العلمي والغيبي لم تلقَ بقبول الكسالى من المنتسبين إلى الحوزات العلمية الشيعيَّة..! **ومعنى البيان** هو: "الوضوح والتوضيح، أو ما بُيِّنَ به الشيء من الدلالة وغيرها.." .

ما هو السبب الداعي لرفض خطبة البيان وغيرها..؟

إن سبب رفض الّذين أنكروا خطبة البيان وغيرها من الخُطَب الأخرى – المروية في البحار وإلزام الناصب، وقد نقلها الحافظ رجب البرسي أعلى الله مقامه الشريف في مشارق الأنوار – هو أمران:

---

1 جابلقا وجابرسا مدينتان عظيمتان، واحدة في المشرق والأخرى في المغرب، وهما من الأرضين السبع، وقد بعث الله تعالى إليهما رسول الله والحجج الأطهار صلوات الله عليهم حسبما أشارت رواية تحف العقول ص 168 عن مولانا الإمام المعظم الحسن المجتبى عليه السلام قال لمعاوية:" يا معاوية والله لقد خلق الله مدينتين إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب أسماها جابلقا وجابرسا، ما بعث الله إليهما أحداً غير جدي.." وفي رواية بصائر الدرجات ص 514 باب 14.قال إمامنا الحسن عليه السلام:".. وما عليهما حجة غيري وغير الحسين عليهما السلام"؛ وقد فاقت الروايات التواتر حول هذين العالمين.

(الأوّل): ضعف أسانيدها.

(الثّاني): ضعف دلالاتها: من حيث نسبة بعض أفاعيل الربوبية إلى أنفسهم المقدّسة الزكية، فزعم هؤلاء أنها من أحاديث الغلاة والمفوّضة.

إيراداتنا على كلا الدعويين :

أمَّا الأمر الأول: وهو ضعف السند، فيرد عليه بالأمور الآتية:

(الأمر الأول):إن حصر وجه ردّ الأخبار وقبولها على ضعف رجال السند ووثاقتهم من أوهن الطرق، وذلك لأنَّه يؤدي بالبديهة إلى طرح طائفة كبيرة من الأخبار، إنْ لم يكن جُلُّها التي نقطع جزماً بصدورها وورودها عن مشكاة العصمة والطهارة عليهم السلام، وطرح تُلكم الأخبار المتكثرة يؤدي إلى خللٍ عظيم في الشريعة المقدّسة لا يمكن جبره أبداً..مضافاً إلى ذلك فإن المعلوم عند عامة الشيعة نسبة تلك الخطب الشريفة إلى أمير المؤمنين وإمام المتقين عليّ صلَّى الله عليه وآله بحيث لا يكاد أحدٌ من الشيعة يشكُّ في نسبتها إليه (عليه أفضل الصلاة وأزكى التحيات) إلَّا من أصحاب النفوس المريضة والعقول الفاترة والهمم الباردة.!!...

إشكالٌ وحلٌّ :

وجه الإشكال:إن البعض يقول بأن خطبة البيان نسختان مختلفتان فلا يكاد يتفقان في مفرداتهما إلَّا نادراً، كما يوجد فيهما زيادات مما يسقطها عن الحجيَّة في مقام الإستدلال.!..

جوابه: إن تعدد النسخ أو اختلافها ليس عيباً في الرواية أو الخطبة كغيرها من الأخبار المتعددة النسخ كما لا يقدح التعدد المذكور من العمل بمضمونهما معاً لإحتمال تعدد الخطبة في عدة أماكن ومناسبات وهو أمر شائع في عالم الخطابة ولا يخفى على متقنيها ومزاوليها، فلا معنى للتشكيك بهما بتعدد النسخ واختلافهما .... فتأمل.

(الأمر الثاني): إنّ ردّ أولئك العلماء لتلك الأخبار العظام لم يكن مبتنياً على إرجاع المتشابه إلى المحكم، والضعيف إلى المستفيض أو المتواتر أو المحفوف بالقرينة، بل كان بسبب ضعف السند وعدم القدرة على تأويل الدلالة بما يتناسب مع الأسس العقدية، ما جعلهم يهيمون على وجوههم مستنكرين ومكذبين لتلكم الأخبار المعجزة ببلاغتها وتركيبها الأدبي واللغوي والغيبي، وردُّ الأخبار لمجرد عدم إحتمالها وعدم القدرة على تأويلها هو الإنكار بعينه الّذي هو أساس الفسق أو الكفر بالولاية حسبما جاء في نصوصنا الصحيحة سيَّما في صحيحة أبي عبيدة الحذاء التي سوف تأتيكم...

هذا مضافاً إلى أن الإعتماد على السند الصحيح هو شأن من لا يرى الطريق فيحتاج إلى عصا في المسير، وأمَّا من فتح الله تعالى مسامع قلبه فعرف لحن كلام ساداته ومواليه عليهم السلام وحفظ الميزان الذي وضعوه لنا وهو إرجاع المتشابه إلى المحكم من الكتاب والسُنَّة فمثله لا يحتاج إلى هذا التكلُّف الذي يوقع صاحبه في المحذورات والهلكات بل

يقبل كل ما وجده موافقاً للقسطاس المستقيم وإن جاء به كافرٌ ودهريٌّ، ويرده أو يؤوله إذا لم يجده كذلك وإن جاء به أفضل من يوثق به.

وهذا القانون أو القسطاس المستقيم سلكه في الأخذ بالأخبار – ولو كانت ضعيفة سنداً – أكابرُ الأصحاب، فكم من خبرٍ ضعيفٍ يقبلونه ويعملون به إذا وجدوه موافقاً لميزان الكتاب والسُنَّة الشريفة، وكم من صحيحٍ يطرحونه إذا وجدوه مخالفاً لذلك، لذا اشتهرت بينهم قاعدة رجالية مفادها:"إعراض المشهور عن الخبر يُوجب وهنه حتّى ولو كان سنده صحيحاً، وأخذهم للخبر يوجب قبوله وصحته ولو كان سنده ضعيفاً..."؛ وليت شعري إذا كان المرجع في العمل بالأخبار وتركه ما ذكرنا عنهم فما هي الحاجة إلى التكلّفات التي ارتكبوها في تشخيص أحوال الرجال ومعرفة صحيحها من سقيمها ؟.

إنْ قال قائلٌ:إن الداعي والحاجة إلى هذه التكلّفات التي ارتكبوها هو قوله سبحانه:(**إنْ جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبيّنوا**...) حيث دلّت الآية على وجوب البحث عن الخبر الثقة دون غيره حسبما فهموه من الآية الشريفة، فلا يجوز الأخذ بخبر الفسّاق.

قلنا:نعم قول الله تعالى صادقٌ مصدَّقٌ، ولكنَّ معناه غير ما فهموه وقرروه وقاسوه لأنّه سبحانه وتعالى لم يقل:(إن جاءكم فاسق بنبأ فاطرحوه...) وإنما قال:(فتبينوا) وأيّ تبيّن أعظم من عرض النبأ على الكتاب والسُنَّة القطعية، وقد جاءت النصوص المتواترة بعرض الأحاديث على الكتاب سوآء كانت صحيحةَ السند أم ضعيفةً، ولا خصوصية للخبر الضعيف سنداً، وإليك قسماً من تلكم الأحاديث:

أ ـ ففي موثقة السكوني عن الإمام أبي عبد لله عليه السلام قال: قال رسول الله: إنّ على كلِّ حقّ حقيقة وعلى كلّ جواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه.

ب ـ وعن ابن أبي يعفور قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن اختلاف الحديث يرويه من نثق بهم ومنهم من لا نثق به؟ قال:إذا ورد عليكم حديث فوُجِد ثمة له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله وإلَّا فالذي جاءكم به أولى به.

ج ـ وعن أيوب بن الحر قال:سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كلُّ شيء مردود إلى الكتاب والسنة، وكلُّ حديثٍ لا يوافق كتاب الله فهو زُخرف.(لاحظ صحيفة الأبرار ج 1 ص 19 ـ 20 ووسائل الشيعة باب القضاء.

(**الأمر الثالث**): ورد في الأخبار الصحيحة والتي عملت بها الطائفة أن عدم التسليم لأخبارهم ينم عن عدم الإعتقاد بفضلهم والتسليم لأمرهم وإليكم بعضاً منها:

أ ـ ما ورد عن منتخب البصائر عن جابر أن الإمام أبا جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله : إن حديث آل محمّد عظيم صعب مستصعب لا يؤمن به إلاّ ملك مقرّب أو بني مرسل أو عبد امتحن الله قلبه بالإيمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمد فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه، وما اشمأزت له قلوبكم فردوه إلى الله وإلى الرسول وأولي العلم من

آل محمّد، وإنّما الهالك أن يحدّث أحدُكم بالحديث أو بشيءٍ لا يتحمله فيقول الله ما كان هذا، والله ما كان هذا، والإنكار لفضائلهم هو الكفر. (صحيفة الأبرار ج55/1)

ب. وفي موثقة أبي عبيدة الحذّاء قال:سمعت أبا جعفر(عليه السلام) يقول في حديث له: إنّ أسوء اصحابي عندي حالاً الذي سمع الحديث من دان ينسب إلينا ويروى عنا فلم يحتمله قلبه إشمأز منه وجحده وكفّر من دان به ولا يدري لعلّ الحديث من عندنا خرج إلينا أُسند فيكون بذلك خارجاً من ديننا.(نفس المصدر والصفحة).

ج. حدثنا الحسن بن حمّاد الطائي عن سعد عن جعفر عليه السلام قال:حديثنا صعب مستصعب لا يتحمله إلا ملكٌ مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن ممتحن أو مدينة حصينة، فإذا وقع أمرنا وجاء مهديّنا كان الرجلُ من شيعتنا أجرى من ليث وأمضى من سنان ليطأ عدونا برجله ويضربه بكفّه وذلك عند نزول رحمة الله وفرجه إلى العباد . (صحيفة الأبرار ج1 ص46).

د. وعن أبي حمزة الثمالي عن الإمام أبي جعفر(عليه السلام) قال: حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله الّا ثلاث، نبي مرسل أو ملك مقرب أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، ثم قال: يا أبا حمزة ألا ترى أنه اختار لأمرنا من الملائكة المقرّبين ومن النبيين المرسلين ومن المؤمنين الممتحنين . (نفس المصدر).

هـ. وعن أبي الصامت قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: حديثنا صعب مستصعب شريف كريم ذكوان وعِرٌ لا يحتمله ملك مقرب ولا نبيّ مرسل ولا مؤمن ممتحن، قلت فمن يحتمله جعلت فداك ؟قال: من شئنا يا أبا الصامت. قال أبو الصامت فظننت أنّ لله عباداً أفضل من هؤلاء الثلاثة.(نفس المصدر).

و. وفي حديث أبي الربيع الشامي عن أبي جعفر قال:كنت معه جالساً فرأيت أبا جعفر عليه السلام قد نام فرفع رأسه وهو يقول :يا أبا الربيع حديث تمضغه الشيعة ما تدري ما كنهه، قلت ما هو جعلني الله فداك ؟ قال: قول أبي [أمير المؤمنين] عليّ بن أبي طالب عليه السلام: إنّ أمرنا صعب مستعصب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبدٌ مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان. يا أبا الربيع ألا ترى أنّه قد يكون ملكٌ ولا يكون مقرّباً ولا يحتمله إلا مقربٌ، وقد يكون نبيّ وليس بمرسل ولا يحتمله إلا مرسل، وقد يكون مؤمن وليس بممتحن ولا يحتمله عبدٌ مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان. (نفس المصدر).

ز. وورد في صحيحة أيد الشحان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له إنّ عندنا رجلٌ يقال له كليب ،فلا يُجيء عنكم شيئاً إلّا قال: أنا أسلِّم فسمّيناه كليبٌ يسلِّم، قال فترحّم عليه، ثمّ قال أتدرون ما التسليم؟ فسكتنا، فقال: هو والله الإخبات في قول الله تعالى:(إنَّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات واختبوا إلى ربّهم أولئك أصحاب الجنَّة..).

ح. وعن سفيان بن السمط قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك يأتينا الرجل من قبلكم يُعرف بالكذب، فيحدّث بالحديث فنستثقله (أي نستثقله على نفوسنا وفي نسخة نستبشعه) فقال الإمام أبو عبد الله عليه السلام:

أيقول لك أنّي قلت اللّيل أنّه نهار؟ والنّهار أنّه اللّيل؟ قلت: لا، قال: **فإن قال لك هذا أني قلته فلا تكذّب به، إنّما تكذّبني**.."(نفس المصدر).

وفي رواية أخرى عن سفيان السمط قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الرجل يأتينا من قبلكم فيخبرنا عنك بالعظيم من الأمر فتضيق لذلك صدورنا حتى نكذبه، فقال عليه السلام: أليس عني يحدثكم؟ قلت: بلى، قال عليه السلام : فيقول لليل أنه نهار وللنهار أنه ليل ؟ قلت: لا ، قال: فردوه إلينا، فإنك إذا كذبته فإنما تكذبنا."

وفي رواية أخرى أيضاً عن عليّ بن سويد السائي عن مولانا الإمام المعظَّم أبي الحسن عليه السلام أنَّه كتب له في رسالته:" **ولا تقل لما يبلغك عنا أو يُنسَب إلينا هذا باطل وإن كنت تعرف خلافه، فإنَّك لا تدري لمَ قلناه وعلى أيّ وجهٍ وضعناه !؟.**"

هذه ثلّةٌ من الأخبار عرضناها عليكم ليتّضح لكم بأنّ الإنكار هو الكفر، فعلى المؤمن المعتقد بالأئمة الأطهار من آل الله تعالى أن يسلّم بكلّ ما ورد عنهم عليهم السلام إلَّا ما خالف الضرورات العقلية والنقلية القطعية، من هنا قال مولانا المعظّم الإمام الصادق عليه السلام لسفيان بن السمط (..**أيقول لك أنّي قلت اللّيل أنّه نهار والنّهار أنّه اللّيل..) أي أنّه هل قلب الموازين الضرورية حتّى تصدّقه ؟ فما دام الراوي لم يقلب الموازين القطعية فلا يجوز تكذيبه**، وهو ما يعني جواز العمل بالخبر الضعيف سنداً والمتشابه في دلالته شريطة عدم مخالفته للأصول والثوابت، ومجرد وجود متشابه في خطبة البيان وغيرها وعدم قدرة البعض على تأويلها وردّها إلى المحكمات العقلية والنقلية لا يكون مناطاً ومِلاكاً لقبولها أو رفضها بنظر هذا البعض بل يجب عليه أن يراعي الأصول المحكمة في التأويل أو يردها إلى أهلها من العلماء الربانيين القادرين على فكّ رموزها ومبهماتها ومتشابهاتها .

وبناءً عليه: فإنّ التعويل على صحّة السند حِرفة الضعفاء الّذين لا يمشون إلَّا متّكئين على عصا ظاهرية، أمّا الّذين فتحوا مسامع قلوبهم للحق وعرفوا لحن خطاب أئمتهم المطهرين صلوات الله عليهم أجمعين فيقبلون بكلّ ما جاء عن ساداتهم تسليماً لأمرهم وانقياداً لشأنهم بالشروط التي ذكرنا آنفاً.

(الأمر الرابع): من الواضح في علمي أصول الفقه والدراية بأن الأخبار التكوينية والملاحم والفضائل والمعاجز والمغيبات وعلامات الظهور الشريف والأدعية والظلامات وسنن الماضين وأحوال الملوك والحكام والسلاطين..لا يشترط فيها صحة السند، بل يكفي فيها أن تكون دلالتها غير متعارضة للكتاب والسنة القطعية وحكم العقل، فيجوز الإعتماد على الأخبار الضعيفة الأسانيد بالشروط التي أشرنا إليها، وبالتالي فلا يصح طرحها وإلَّا لأدَّى ذلك إلى طرح المئات بل الآلاف من الأحاديث المتعلقة بالموارد التي ذكرناها آنفاً، وهو ما جرت عليه السيرة بين الفقهاء والأعلام حيث ينقلون أخباراً من كتب المخالفين في القضايا غير الفقهية، وذلك لأنَّ أدلة حجية الخبر الواحد الثقة إنَّما هي خاصة بقضايا الفقه ولا تشمل غيره من قضايا التاريخ والملاحم والمعاجز والكرامات وما شابه ذلك..كلُّ هذا على مبنى القائلين

بوجوب الأخذ بالخبر الثقة في المجال الفقهي وهي ما يطلق عليها بحجية الخبر الثقة، ويعارضه مبنى آخر هو حجية الخبر الموثوق الصدور في المجال الفقهي لا خصوص خبر الثقة، وبينهما بونٌ شاسع، إذ قد يكون الخبر صحيحاً من ناحية السند إلَّا أنَّه ليس موثوقاً به من ناحية الدلالة، ولا ملازمة بين وثاقة الراوي وكون الخبر موثوقاً بالصدور، بل ربما يكون الراوي ثقةً ولكن القرائن والأمارات تشهد على عدم صدور الخبر من الإمام عليه السلام وأن الثقة قد التبس عليه الأمر أو أن الأعداء دسوه في أخبارنا فركبوا الأسانيد على المتون، وهذا بخلاف ما لو قلنا بأنَّ المناط هو في حجية الخبر الموثوق الصدور، فساعتئذٍ تكون وثاقة الراوي من إحدى الأمارات على صحة الخبر الموثوق الصدور، ولا تنحصر الحجية بالخبر الثقة، فمجرد قيام الشواهد على صحة الخبر الضعيف يكون كافياً شرعاً بوجوب الأخذ بأصل الخبر لقيام الأمارات على صحته، فيكون العمل بالقرينة لا بنفس قول المخبر بما هو مخبرٌ، بل بما يخبر عنه..وهذا المبنى هو الصحيح عندنا تبعاً للمتقدِّمين من أعلام الإمامية وثلة من المتأخرين وهو موافق لسيرة العقلاء التي جرت على الأخذ بالخبر الموثوق الصدور وإن لم يحرزوا وثاقة المخبر، ذلك لأنَّ وثاقة المخبر طريق مؤكد إلى إحراز صدق الخبر، ولم تؤخذ وثاقة الخبر على نحو الموضوعية بل على نحو الطريقية المؤكدة لصدق الخبر، وعلى ذلك فيجوز الأخذ بمطلق الخبر الموثوق الصدور إذا شهدت القرائنُ والشواهد عليه، وهذا ما حصل في خطبة البيان والتطنجية والإفتخارية وغيرها من الخطب الغيبية الدالة على الفضائل والملاحم...وبالتالي فإنَّ القاعدة التي أشرنا إليها من حجية الخبر الموثوق الصدور ـ المدعومة بالأصل الدال على عدم إشتراط الوثاقة في أخبار الملاحم والفضائل وما شابهها ـ تلزمنا بعدم جواز ردّ هذه الخطب لما في الردّ من المخالفات الشرعية التي أشرنا إلى بعضها وسنشير إلى البعض الآخر بعد قليل.

وأمَّا الأمر الثاني: أعني ضعف دلالة تلك الخطب الشريفة من حيث نسبتها بعض أفاعيل الربوبية إلى نفس الأئمة المقدَّسين عليهم السلام، فيرد عليه بالوجوه الآتية :

(**الوجه الأول**): لم نجد بحسب تتبعنا لفقرات تلك الخطب الشريفة، ما يخالف كتابَ الله وسنَّة نبيّه الكريم صلَّى الله عليه وآله، بل إنَّ كلَّ فقراتها قد دلت على صحتها القرائنُ والشواهدُ من الكتاب الكريم والسنَّة النبويَّة والولويَّة، بل إنَّ فيها ما هو موافق للأصول الإعتقادية عندنا، وكلُّ فقراتها قابلة للتأويل، بل هناك أخبار أوردها ثقاة المؤرخين والمفسِّرين من الشيعة الإمامية أمثال الصفار والكليني وغيرهما أعظم خطراً من تلك الموجودة في الخطبة التطنجية والبيان والإفتخارية وحديث المعرفة بالنورانية، ولم يعترض أحدٌ عليها بإعتراض..كلُّ ذلك بحجة أنَّ أسانيدها صحاحٌ وفي غاية الإعتبار، وهل الميزان في القبول والرفض هو صحةالسند فقط (أي خبر الثقة) أم ثمة طريقٌ آخر مبنيٌّ على الأخذ بمدلول الأخبار التي عليها شواهدٌ وقرائن تثبت صحتها (أي خبر الموثوق الصدور) ؟.. الصحيح هو الثاني حسبما جاء في الأخبار من عرض الأخبار على الكتاب الكريم ولم تتعرض إلى عرض الأسانيد على الكتاب، فلم يُروَ عنهم إنهم قالوا: أعرضوا أسانيد الأخبار المنسوبة إلينا على الكتاب، وإنما قالوا :(أعرضوا أخبارنا على الكتاب، فما وافقه فخذوه وما خالفه فأضربوه عرض الجدار).

معممون مقصّرون..!!

ولقد أنكر بعضُ المعممين"[1]" في فيديوهات انتشـــرت مؤخراً – في عامي 1444 و1445 هجري – تفويضَ الله تعالى الخالقية والرازقية للنبيّ وآله الأطهار (صـــلوات الله عليهم أجمعين) بدعوى أن الخلق والرزق منحصـــرٌ بالله تعالى..حتى أن أحد هؤلاء المعممين الثلاثة رفض التأويل من أساسه..ورفضه يعني إنكاره للمحكم المفسّر والموضّح للمتشـــابه..وبالتالي هو زائغٌ عن الحقّ وضـــالٌ عن الجادة الوســـطى فانطبق عليه قوله تعالى{ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَـــابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـــابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِـــخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ }آل عمران 7. وماذا يفعل هذا المعمم العار على التشـيُّع بالآيات المتشـابهات في القرآن الكريم، فهل يا تُرى لا يؤمن بها..؟؟! فإذا قال: أنا أؤمن بها بردها إلى المحكمات، فلِمَ لا يكون الأمر نفسه بالنسبة إلى الروايات المتشابهات ببعض ألفاظها ومضامينها..فلماذا لا يردُّها إلى المحكمات وينجو من سوء الحساب..؟! وقد جاء عنهم عليهم السلام في وسائل الشيعة باب القضاء: أن في أخبارهم محكمات ومتشابهات، فأمروا بردِّ متشابهها إلى محكمه ونهوا عن اتباع المتشابه، كما نهوا عن طرحه قبل العثور على المحكم..

كلام هؤلاء المعممين ينمُّ عن ضـعف تحصـيلهم للعقيدة الصـحيحة ولمفاهيم القرآن الكريم الذي صـرَّح بآيات قاطعة ماحقة لظهور المنكرين لصفتي الخالقية والرازقية لبعض العباد المقربين من الأنبياء والأولياء المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وكلّ ذلك بإذن من الله تعالى على وجه التبعية لله تعالى وفي طول إرادته وليس في مقابل قدرته، إذ إن ذلك مستحيل على الأنبياء والأولياء العظام عليهم السلام أن يخلقوا ويرزقوا من عند أنفسهم وفي عرض القدرة الإلهية.

وبتوضـيحٍ آخر: إن الله تعالى ولُّي الكون، والنبيّ وآله الأطهار صـلَّى الله عليهم أولياؤه على ذرات الكون الفسـيح، وولايتهم على الكون طولية لا عرضـــية بمعنى أن ولايتهم مســـتمدة من ولايته عزَّ وجلَّ بمقتضـــى الأدلة والبراهين من الكتاب والسُّنَّة، فولايتهم عليهم السلام ليست مستقلّة عن ولاية الله تعالى ولا في عرضـها، بل هي مستندة إلى إذنه تعالى، ومستمَدَّة من ولاية الله ومددها، لذا فإنّ تصرُّفهم عليهم السلام هو تصرّفه سبحانه، وفعلهم فعله بهذا الاعتبار.

وبعبارةٍ أخرى:إنّ الطولية بلحاظ الرتبة لا الفعل، إذ رتبة ولايته هي المقدَّمة ذاتاً وفعلاً وأمّا ولايتهم عليهم الســـلام فمتأخِّرة عن ولايته ســـبحانه ذاتاً وفعلاً، ففي فعلهم تتجلَّى إرادة الله تعالى، وفي قدرتهم تتجلّى قدرته عزَّ وجلَّ من حيث إنّهم أوعية مشـــيئته ومظاهر قدرته، وهو ما أُثر عنهم بقولهم صـــلوات ربي عليهم: "**الحمد لله المتجلّي لخلقه بخلقه**"، ومثله ما جاء في وصف بعض الملائكة الكرّوبيين كما عن الحافظ البرسي رضي الله عنه في مشارق الأنوار ص 32:[بأنّ مظهر ركن الحياة إســـرافيل، ومظهر ركن العلم جبرائيل، ومظهر ركن الإرادة ميكائيل، ومظهر بكن القدرة

[1] هما الشيخ أحمد سلمان والسيّد علي أبو حسن من بلاد الخليج، ولحقهم واحدٌ آخر من الكويت هو السيّد صباح شبر في فيديو انتشر له في عام 1445 هجري خلال أجوبته على المسائل في قناة المعارف.

عزرائيل وهو المستفاد من الروايات أيضاً]. فهم صلوات ربي عليهم مظهر الإرادة الإلهية، إن شاءوا شاء وإنْ أرادوا أراد. فولاية الملائكة على العوالم المادية طولية وجعلية من عنده عزَّ وجلَّ، فإذا ما كان ذلك جائزاً لهم وهم أدنى من النبيّ وآله بحكم الأدلّة القطعية، فما المانع أنْ تكون ولاية النبيّ والأئمة عليهم السلام مهيمنة على الكون بطريقٍ أولى ما دامت بإذن الله تعالى وجعله [1]؟!

وقد جلّينا الموضوع بشكلٍ تفصيليٍّ في صفة الخلق من بحث (الصفة الثبوتية الإضافية) في الجزء الأول صفحة 339 من الطبعة الرابعة من كتابنا الجليل (الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية) منذ 26 سنة ولكنَّ عمائم السوء تغضُّ الطرف عن كتاب الله تعالى بمحكماته ولا تنظر إلَّا في المتشابهات..ومما قلناه هناك هو ما يلي:

[مما لا ريب فيه أنّ مسألة الخَلْقْ من الصفات التي تفرّد بها المولى عزّ شأنه أصالةً، فلا خالق في الكون بالعنوان الأوّلي"أصالة" غيره سبحانه وتعالى، فكلُّ ما نراه من الممكنات وما يتبعها من الأفعال والآثار كلها مخلوقاته عزّ اسمه حقيقةً لا مجازاً، فكل موجود عداه فهو مخلوق لله تعالى "عدا الأفعال" إمَّا بالمباشرة أو بالتسبيب.

والدليل عليه ما تقدم معنا سابقاً من أنّه تعالى واجب الوجود بالذات غنيٌّ حكيم، وغيره ممكن فقير، فكما أن ذات الممكن قائمة به سبحانه فكذا فعله فإنه مستند إلى الواجب ليفيض عليه القدرة والقوة لكي يصدر الفعل من فاعله والأثر من مؤثره، وإلَّا أصبح الممكن آلةً مسيّرةً لا تملك من أمرها شيئاً على الإطلاق، فيبطل الثواب والعقاب والذمّ والمدح والحسن والقبيح.

فكلّ ما في الوجود هو رشح من فيض جوده المقدّس، وهذا حكم عقلي أكدته نصوص الكتاب:

[قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهّار] الرّعد:17.

[الله خالق كلّ شيء وهو على كلّ شيء وكيل] الزّمر:63.

[أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخَلَقَ كلَّ شيء] الأنعام:102.

إنَّ العقل والنقل يحكمان بأنَّ كلَّ شيء صادر منه تعالى إذ ليس في الدار غيره ديّار، لكن ليس معناه أنه سبحانه لم يفوّض هذا الأصل إلى غيره ممن له قابلية الكمال فيخلق بإذنه تعالى وتبعاً لمشيئته وأمره، وليس كما ادّعى جمهور السنّة أنه لا مؤثر في الوجود غير الرب المعبود لا على نحو الاستقلال ولا على نحو التبع، فبذلك يكونون قد أنكروا مبدأ السببيّة والمسببيّة في النظام التكويني زعماً منهم أن آثار الظواهر الطبيعية كلها مفاضة منه تعالى من دون أن يكون هناك رابطة بين الظواهر المادية وآثارها، فالنار بنظرهم إنما تكون حارة لأنه سبحانه جرت سنته على إيجاد الحرارة عند وجود النار مباشرةً من دون أن تكون هناك رابطة بين النار وحرارتها، والشمس وإضاءتها بل جرت سنته وقدرته سبحانه على

[1] راجع كتابنا: الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية ج 2 ص 159 – 160.

إيجاد الضوء عقيب الشمس من دون وجود نظام تكويني باسم السببية والمسببيّة أو العلة والمعلول، فليس في العالم سوى علة واحدة ومؤثر واحد يؤثر بقدرته وسلطانه في كلِّ الأشياء من دون أسباب ومؤثرات.

وعلى هذا فقد نسبوا كلّ شيء إليه حتى أفعال البشر فإنها مخلوقة لله تعالى مباشرةً وليس لقدرة العبد الحادثة فيه أيُّ وزن أو تأثير في فعله على الإطلاق بل العبد كاسب للفعل الإلهي وأداة له.

يلاحظ عليه:

أولاً: صحيح أنّ كلَّ الممكنات مخلوقة لله تعالى إلَّا أنها تتوقف في وجودها على شروط لا تتحقق بدونها كتحقق وجود الإبن على وجود والديه، وعلى وجود شرائط أخرى زمانية ومكانية، فوجود الوالدين وبقية الشروط بعضُ أجزاء العلة التامة، فمع تدخّل القدرة الإلهية تصبح العلة تامة لتحقق وجود الولد، فهو سبحانه بالنسبة إلى مجموع العالم علة تامة إذ لا يتوقف على شيء غيره سبحانه، وأمَّا سائر أجزاء العالم كوجود زيد فيتوقف على ما هو قبله من العلل وما هو معه من الشرائط والمعدّات وكلها ترجع إلى العلة الأولى.

ثانياً: إنّ الخالقية المستقلة تنحصر به عزّ وجلّ لأنه الغني المطلق وغيره فقير إليه، فلو قام غيره بعملية الخلق كما حصل لبعض الأنبياء والأولياء عليهم السلام، فإنّما يقوم بذلك بإذنٍ وتسبيب منه تعالى، فالكلُّ جنده يعملون بتمكين منه عزَّ وجلَّ لهم.

ثالثاً: إنّ القرآن يسند إلى الإنسان أفعالاً لا تقوم إلَّا به مع إعطائه القدرة عليها كأمره سبحانه العباد بالطاعة وزجرهم عن المعصية، فلو كانت الأفعال مخلوقة لله تعالى لبطل الأمر والزجر والثواب والعقاب.

رابعاً: إن القرآن الكريم يربط الظواهر الكونية بقانون العليّة والمعلولية، وفي الوقت نفسه يسندها إليه تعالى حتى لا يغترَّ الإنسانُ بأنّ آثار الموضوعات متحققة من تلقاء نفسها، وأمثلَتُهُ كثيرة في كتاب الله تعالى وهي على طوائف منها:

الطائفة الأولى: قوله تعالى: [وإذا مرضتُ فهو يشفين] الشّعراء:81.

فهنا حصر تبارك وتعالى الشفاء به في حين فوّضه إلى غيره كالقرآن والعسل بقوله تعالى:[وننزّل من القرآن ما هو شفاء]. الإسراء:83.

[وأوحى ربُّك إلى النّحل أنِ اتّخِذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر وممّا يعرشون، ثمّ كُلي من كل الثّمرات فاسلكي سُبُل ربّك ذُلُلاً يخرج من بطونها شراب مختلفٌ ألوانه فيه شفاء للنّاس إنّ في ذلك لآيةً لقومٍ يتفكّرون] النّحل: 69- 70.

فهنا ربط الشفاء بأكل العسل، وربط إيجاد العسل عند النحل بأكل الثمرات التي هي السبب في صنع العسل.

الطائفة الثانية: قوله تعالى: [أفرأيتم ما تحرثون، ءأنتم تزرعونه أم نحن الزّارعون]. الواقعة: 64 – 65.

فبيّن هنا أنَّه تعالى هو الزارع الحقيقي والزرع منحصر به تعالى، ثم في آية أخرى بيّن أن هناك أُناساً يزرعون قال: [يُعجبُ الزارع ليغيظ بهم الكفّار]. الفتح: 30 .

الطائفة الثالثة: قوله تعالى: [إنّ الله هو الرّازق ذو القوّة المتين]. الذّاريات:58 .

أوضح سبحانه في الآية المباركة كون الرزق منحصراً به تعالى، ثم في آية أخرى جعل سبحانه ذوي الطول والثروة أن يرزقوا من يلوذ بهم من الضعفاء بقوله تعالى:[وارزقوهم فيها واكسوهم]. النّساء:6 .

الطائفة الرابعة: قوله تعالى:[قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ]. يونس:32 .

فحصر سبحانه التدبير به، في حين نجد أن التدبير قد فوّضه إلى بعض العباد بقوله تعالى:[فالمدبّرات أمراً]. [النّازعات:6.

الطّائفة الخامسة: قوله تعالى: [إيّاك نعبد وإيّاك نستعين]. الفاتحة:5.

هنا حصر الاستعانة به تعالى، لكنه في آية أخرى أمر العباد بالاستعانة بالصبر والصلاة بقوله تعالى: [واستعينوا بالصّبر والصّلاة]. البقرة:46.

قوله تعالى:[هل من خالقٍ غير الله يرزقكم من السّماء والأرض لا إله إلاّ هو فأنّى تؤفكون]. فاطر:4.

فقد حصر الله سبحانه هنا الخالقية به، بينما في آية أخرى ينسب الخلق إلى بعض أوليائه بقوله تعالى:

[وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ]. المائدة:111.

هنا أمور أربعة يعجز البشر عن تحقيقها من دون استعانة به تعالى، فهل يقدر البشر أن يخلقوا من دون استعانة بالله تعالى؟ .

كلا وألف كلا، وما يروّج له الاستعمار الأميريكي والأوروبي في مسألة الاستنساخ البشري والذي روّجت له الصحف والإعلام أخيراً ما هو إلّا تمويهٌ على الضعفاء لإبعادهم عن الدين وعن الارتباط بخالق السماء، ولو سلّمنا جدلاً بصحّة ما يقولون ويدّعون فهم ليسوا إلّا واسطة في جمع الجينات والنطف بعضها مع بعض لتشكّل كائناً حيوياً، فهم بمثابة العلّة الإعدادية لتولّد الجنين عند الأبوين، حيث يقومان بالعملية الجنسية فتدخل النطفة الذكرية إلى رحم المرأة لتتلّقح بالبويضة، فلا يصدق عليهما أنهما خلقا جنيناً، وإنما أعدّا النطفة والبويضة لكي يلتقيا في ظرف معين وتحت شروطٍ خاصة.

والاستنساخ البشري من هذا القبيل لو سلّمنا بصحته، إضافةً إلى أنه بمثابة إيحاءات شيطانية؛ الغاية منها إهلاك الحرث والنسل والتلاعب بمصير البشر، وصدق الله الباري عزَّ وجلَّ عندما قال حكايةً عن إبليس لعنه الله:{وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً }النساء 119.

ولا يقال للعلَّة الإعدادية أنها علّة فاعلة، بل تشبهها، تماماً كمشابهة المجاز للحقيقة، فليس مَنْ صنعَ الكرسي يقال إنَّه خلقها، بل ركَّبها لأنَّ الخلق معناه أن يُوجِدَ المواد الأولى من العدم، لا أن يركّبها بعد فرض وجودها خارجاً، فما يروّج

له اليوم من الاستنساخ ما هو إلّا ابتزاز المعتقدات من نفوس أتباع الشرائع والأديان، [فليحذر الّذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليمٌ]. النّور:64 .

يتلخص مما ذكرنا أن الآيات على طائفتين:

طائفة تحصر الأمور به تعالى على وجه الأصالة؛ وطائفة تنسب هاتيك الأمور إلى غيره تعالى تبعاً لإذنه وأمره وتحت ظلّ قدرته، وبما أن هذا العالم هو عالم الأسباب والمسببات، وأنَّ كلَّ ظاهرةٍ لا بدَّ أنْ تصدر وتتحقق في مجراها الخاص بها المقرّر لها في عالم الوجود، والقرآن الكريم ينسب هذه الآثار إلى أسبابها الطبيعية دون أن تُخرج الله عزّ وجلّ من سلطانه، ففعل هذه الموجودات هو فعله تعالى لأنه أفاض عليها الحياة والقدرة، فنسبة هذه الأمور إلى الموجود الطبيعي نفسه إشارة إلى الجانب المباشري فيما يكون نسبتها إلى «الله» إشارة إلى الجانب التسببي وقد أشار القرآن إلى هاتين النسبتين بقوله تعالى:[وما رميتَ إذ رميتَ ولكنّ الله رمى]. الأنفال:18.

فقد نسب إلى النبيّ صلَّى الله عليه وآله أنَّه رمى [إذ رميتَ] في حين يصف نفسه تعالى أنه هو الرامي الحقيقي [ولكنَّ الله رمى]؛ فالله رامي بالتسبيب حيث أعطى القوة والقدرة والحياة للعبد لكي يرمي ولولاه تعالى لما قدر العبد على الرمي أو الفعل المباشري الصادر من العبد"[2].

إستبعاد النبيّ وآله عن الإعجاز لماذا..!!؟

نفث أحد المشككين في الإعجاز الخلقي للنبي وآله عليهم السلام نافياً عنهم الإعجاز والتفويض، مدَّعياً بأن خلق النبيّ عيسى عليه السلام للطير إنما هو من باب المعجزة، وأين هذا من خلق النبيّ الأعظم وأمير المؤمنين وآلهما الطاهرين عليهم السلام فإنهم لم يخلقوا ولم يرزقوا ولم يحيوا الموتى..ثم خلط بين الإعجاز الجزئي للنبي عيسى عليه السلام وبين الإعجاز الكلي ملبّساً على العوام بنفي الإعجاز الكلي عن عيسى عليه السلام من حيثية أن النبي عيسى لم يخلق زكريا ولا الحيوانات في عصره وبالتالي نفيه للإعجاز الكلي للنبي وآله..فأطلق في كلامه فنفى عن النبي وآله حقيقة الخلق والإحياء..فهم لم يخلقوا ولم يرزقوا من على الإطلاق..!

نورد عليه بما يلي:

1 – عندما نقول بأن الله تعالى هو الخالق للكائنات، لا يستلزم ذلك بالضرورة العقلية نفي الوسائط في الخالقية والرازقية وما شاكلهما كما أشرنا إليه سابقاً حيث هي من فيض وجوده وقدرته عبر وسائط في الخلق والرزق والإحياء..فوجود واسطة أو وسائط في الخلق والرزق ليس مستحيلاً ولا يعتبر قبيحاً، بل هو حسنٌ عقلاً على قاعدة:"تعدد الأعوان دليل على عظمة السلطان"، فوجود ملائكة مدبرين للكون (فالمدبرات أمراً..) النازعات 1 ومقسمين للأرزاق{فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً }الذاريات{وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً }الذاريات14{فَالْحَامِلَاتِ وِقْراً }الذاريات2{فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً }الذاريات3 ونازعين

[2] راجع: الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية ج 1 ص 339 – 344.

للأرواح {وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً }النازعات1 ونافخين للأرواح في الأبدان كالنفخ في بدن آدم عليه السلام:{فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ }الحجر29؛ وكذلك النفخ في رحم مريم بنت عمران عليها السلام:{وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ }الأنبياء91 ويوم نفخة الصور وإعادة الأرواح إلى الأبدان:{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ }الأنعام73؛ وآيات النفخ في الصور كثيرة، وإسرافيل عليه السلام هو النافخ، والله تعالى منزّه عن النفخ لأنَّه من لوازم المادة، ولكنَّه جعل وسائط للقيام بالنفخ وهم الملائكة..ولو ألقى هذا المشكّك الذي يدَّعي لنفسه الفقاهة نظرةً إجمالية على سورة الذاريات والمرسلات والنازعات والصافات وغيرها من الآيات التي أشارت إلى تعدد الوسائط في الخلق والرزق وما شاكلهما..لما كان تفوَّه بما يقبح صدورُه من عالمٍ مطَّلعٍ على تفاصيل العقيدة والتفسير..!!

2 – لو كان اللهُ تعالى يقوم بنفسه – ومن دون وسائط – في تدبير الكون وما يتعلق به من رزق وخلقٍ وإحياء وإماتة، فلماذا خلق إذاً الملائكة الأربعة المدبرين مع أعوانهم ليديروا الكون بأمره..؟ ولماذا خلقهم ولأيّ سبب خلقهم..؟! وهل خلقهم فقط للسجود والركوع والتهليل والتكبير والتسبيح..أم أنَّه خلقهم لغايات ومهام ووظائف أسئلة عويصة نوجهها لهذا المشكك وأمثاله ممن رفعهم الإعلام المتحزب فصاروا يتلاعبون برؤوس البسطاء من المؤمنين..ولسوف نرى كيف سيجيب عليها وساعتئذ سنعيد الكرّة عليه وعلى أمثاله..

3 – لن يتمكن المشكك من الإجابة على أسئلتنا المتقدّمة، بل سيعترف بأن الملائكة مدبرون للكون بإذن الله تعالى وتفويضٍ منه..وحيث إنَّهم مدبرون بأمر الله تعالى فلِمَ جاز لهم التدبير بكافة أصنافه ومصاديقه من الخلق والرزق والإحياء والإماتة..ولم يجزِ ذلك لغيرهم من أولياء الله العظام صلَّى الله عليهم أجمعين..؟!

إن آل البيت عليهم السلام هم أقرب الخلق إلى الله تعالى فهم الذين يديرون الكون بأمر الله تعالى ومعهم الملائكة جنودهم وأعضادهم يمتثلون أوامرهم..فآل محمد عليهم السلام خزائن علم الله ومشيئته ومهبط وحيه ومعادن حكمه..يوحي إليهم الله تبارك ذكره، وهم بدورهم يوحون إلى الملائكة أن افعلوا كذا وكذا..

4 – الغريب العجيب في هذا المشكك أنَّه أقرَّ بأن النبيَّ عيسى عليه السلام خلق من الطين كهيئة الطير كما قال الله تعالى في محكم آياته..واعتبره إعجازاً في حين أنَّه نفى عن آل محمد صلَّى الله عليهم الإعجاز ومعتبراً أن الإحياء والإماتة والخلق والرزق بيد الله تعالى وراجعة إليه..ولكنَّه بعَّض بالخلق فأجازه للنبي عيسى ومنعه عن آل محمد عليهم السلام..

إن الإعجاز المؤقت للنبي عيسى عليه السلام لا يضر بالإعجاز المطلق، فمن حباه الله تعالى بالإعجاز المؤقت فلا يبخل عليه بالإعجاز المطلق..وما ثبت في موضوع جزئي كخلق الطير، يثبت في غيره من جزئيات كثيرة ما دامت القدرة على الخلق موهوبة من عند الله تعالى وليس من عند النبي عيسى عليه السلام..وما ثبت للنبي عيسى عليه السلام فلِمَ لا يثبت للنبي محمد وأهل بيته الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين..؟!! ومن المعروف في علم الكلام أن حكم الأمثال

واحد ولا نصَّ في البين يجوز في هذا ويمنع في ذاك..وما ادَّعاه المشكك بوجود منع عن التفويض بالخالقية والرزق يبقى مجرد دعوى بلا دليل بل دونها خرط القتاد.. فالمناط والمِلاك في الإعجاز واحدٌ لا يتبعض، فإذا ثبت الإعجاز في قضية، فلا يمنع العقل من إثباتها مرات كثيرة..فتأملوا.

وبعبارةٍ أُخرى:لقد اعترف المشكّك ضمنياً بأنَّ النبيَّ عيسى عليه السلام خلق من الطين كهيئة الطير، وهذا يكذّب دعواه بأن الخلق راجع إلى الله تعالى وحده من دون توسط خالقٍ آخر بإذنه تعالى وأمره، فأجازه للنبي عيسى عليه السلام ولم يجزه للنبيّ الأعظم وآله الأطهار صلوات ربي عليهم..شنشنة أعرفها من أخزم..!!

5 – لقد أشـــارت الآية 14 من ســـورة المؤمنين إلى أن ثمة خالقين بإذن الله تعالى، فالخالق هو الله تعالى ولكن عبر الوسائط منهم النبي عيسى والملائكة وهي قوله عزَّ وجلَّ:{ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَـوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَـأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَـنُ الْخَالِقِينَ }المؤمنون14؛ فقد روى المحدّث الحر العاملي في فصل الأصول العقائدية، الباب47 من كتابه "الفصول المهمة في أصول الأئمة عليهم السلام": باب إن الله سبحانه خالق كلّ شيء إلَّا أفعال العباد" بإسناده إلى التوحيد عن الفتح بن يزيد الجرجاني، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام:هل غير الخالق الجليل، خالقٌ ؟ قال:[إن الله تبارك وتعالى يقول: (تبارك الله أحسن الخالقين) فقد أخبر أن في عباده خالقين وغير خالقين منهم عيسى عليه السلام، خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله، والسامري خلق لهم عجلاً جسداً له خوار].

وللخبر تتمة في التوحيد هي التالي:[قلت: إن عيســـى خلق من الطين طيراً دليلاً على نبوته، والســـامري خلق عجلاً جسداً لنقض نبوة موسى، وشاء الله أن يكون ذلك كذلك ؟ إن هذا لهو العجب، فقال: ويحك يا فتح إن الله إرادتين ومشيئتين: إرادة حتم، وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء، أوما رأيت أنه نهي آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشجرة وهو شاء ذلك ؟ ولو لم يشأ لم يأكلا، ولو أكلا لغلبت مشيئتهما مشيئة الله، وأمر إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل وشاء أن لا يذبحه ولو لم يشأ أن لا يذبحه لغلبت مشية إبراهيم مشية الله عزَّ وجلَّ قلت: فرجت عني فرج الله عنك..**]**. راجع البحار ج 4 ص 147.

قال المجلســي رحمه الله تعقيباً على الخبر المتقدم في البحار ج 4 ص147 باب5 تحت عنوان:**[** بيان: لا ريب في أن خالق الأجســام ليس إلا الله تعالى ، وأما الاعراض فذهبت الأشــاعرة إلى أنها جميعا مخلوقة لله تعالى وذهبت الإمامية والمعتزلة إلى أن أفعال العباد وحركاتهم واقعة بقدرتهم واختيارهم فهم خالقون لها؛ وما في الآيات من أنه تعالى خالق كلّ شئ وأمثالها فإمَّا مخصص بما سوى أفعال العباد، **أو مؤوَّل بأن المعنى أنه خالق كلّ شئ إما بلا واسطة أو بواسطة مخلوقاته،** وأمَّا خلق عيسى عليه السلام فذهب الأكثر إلى أن المراد به التقدير والتصوير، **ويظهر من الخبر أن تكون الهيئة العارضــة للطير من فعله على نبينا وآله وعليه الســلام ومخلوقاً له، ولا اســتبعاد فيه، وإن أمكن أن يكون**

نسبة الخلق إليه لكونه معدا لفيضان الهيئة والصورة، كما تقوله الحكماء، وكذا السامري، وسيأتي تمام القول في ذلك في كتاب العدل إن شاء الله تعالى **]**. انتهى.

والمعلوم من قصة السامري أنه ذرَّ شيئاً من تراب أخذه من تحت حافر رمكة جبرائيل عليه السلام، فطرحه في جوف العجل الذي صنعه السامري فتحرك العجل وخار ونبت له شعر..وهو ما أشارت إليه الآيتان من سورة طه حيث قال له النبي موسى عليه السلام {قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ }طه95 {قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي }طه96 . فقد خلق السامري عجلاً بإذن من الله تعالى عبر تراب أثر الملاك جبرائيل عليه السلام، فالخالق هو الله عبر أثر جبرائيل عليه السلام، **والسامري كان واسطةً في الخلق وليس علَّة تامة**..فتأملوا.

ويجدر بنا لفت النظر بأن الله تعالى خالق كلّ شيء إلَّا أفعال العباد فلم يخلقها، بل البشر هم الخالقون لها..فهل يا تُرى يكون الشيعة الإمامية مشركين لإعتقادهم بأن العباد هم الخالقون لأفعالهم وليس الله تعالى..؟؟ فليجبني ذلك المشكك المعمم من الكويت..!! فخلق العباد لأفعالهم لا يعني أن الله تعالى تخلى عن ملكه ولا أن أفعال العباد خارجة عن قدرة الله تعالى..**وهكذا قولنا واعتقادنا بأن النبيَّ عيسى (عليه السلام) والسامري (لعنه الله) عندما خلقا بإذن الله تعالى لم يعتبره أحدٌ من المسلمين شركاً ولا غلواً، ولا أحد من علماء الإمامية اعتقد بأن الخالقية منحصرة بالله تعالى مباشرةً بل الخلق من الله بالواسطة: إمَّا إعجازاً وتعظيماً للأنبياء والأولياء عليهم السلام، وإمَّا امتحاناً وفتنةً للأشقياء..وليس الخلق عبر بعض العباد للإعجاز فقط كما تصوَّر ذاك الكويتي المشكك..!! بل نزيدكم علماً بأن نفس الخلق للإعجاز لا يخرج الموضوع عن الخالقية بواسطة بعض العباد..فالإشكال باقٍ في محله نوجهه إلى ذاك المشكك، فما فعله هو مصادرة على المطلوب..إذ القول بأنَّ ما خلقه النبيّ عيسى عليه السلام من باب الإعجاز يبقى ضمن إطار تفويض الخلق إلى بعض العباد ومنهم عيسى عليه السلام، فلم يخلق اللهُ تعالى الطيرَ مباشرةً بل أوكل أمرَ خلقه إلى النبيّ عيسى عليه السلام، وهكذا الحال بالنسبة للحجج الأطهار صلوات الله تعالى عليهم، فقد خلقوا بتوكيلٍ منه، ورزقوا بتوكيل منه عزَّ وجلَّ تبعاً لإرادته ومحل قدرته تبارك اسمه، وليس إستقلالاً عن إرادة الله تعالى فهو مستحيل بالضرورة العقلية القطعية**..فتدبروا.

ولا بأس بأن نذكر ما جاء في تفسير عليّ بن إبراهيم وقد نقله منه المجلسي في البحار ج 13 ص 210 بشأن فتنة السامري في قوله تعالى(فإنَّا قد فتننا قومك..) قال:**[**..ثم أوحى الله إلى موسى (إنَّا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري) وعبدوا العجل وله خوار، فقال موسى عليه السلام: يا رب ! العجل من السامري فالخوار ممن ؟ قال: مني يا موسى، أني لما رأيتهم قد ولوا عني إلى العجل أحببت أن أزيدهم فتنة..**]**.

المصيبة عند بعض العمائم أنهم يتكلمون بغير علمٍ ودراية..بل يتكلفون بكلامهم الجهلَ والحمق..فلم يتدبروا في آيات الله عزَّ وجلَّ ولم يردوا الفرعَ إلى الأصل، بل عملوا بعقولهم الناقصة وهممهم الفاترة فوقعوا في ضيق الخناق..!! سبحان ربّك ربّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين..

بما أشرنا إليه آنفاً يتضح سخافة هؤلاء المعممين الجهلة بما لا يدع مجالاً للشك..فهذه مصيبة الحوزات البترية المقصّرة قديماً وحديثاً فلا يخلو منهم زمنٌ..!!

(**الوجه الثاني**): إن المتتبع لفقرات تلك الخطب الشريفة يجد الكثير من القرائن التي تصرف الأُلوهية عن الأئمة الأطهار إلى الله تعالى،كما أن فيها الكثير من التحميد والتهليل والإعتراف بالوحدانية لله تعالى والشهادة لرسول الله بالنبوة والرسالة.

وبناءً عليه:فأين وجه المخالفة فيها كما يدَّعون ويلفّقون ويكذبون بأن فيها دعوى الألوهية والتفرد بالخلق من دون إذن الله تعالى وأمره.. ؟! إنَّهم من ضعاف العقول في المعقول والمنقول، فالذين يقدِّرون عظمةَ الله بقدر أفهامهم الضعيفة وأوهامهم السخيفة لفي جهلٍ عريضٍ عن معرفة المقامات السامية الرفيعة لأئمة آل البيت عليهم السلام مع أنَّه قد عُلِمَ من بين لابتيها أن أحدهم لو أخبر بأن الله عزَّ وجلَّ قد خلق ملكاً لا ملك أعظم منه لا يتحرك مَلَكٌ في السماوات والأرض إلَّا بإذنه قد وكّله الله سبحانه بتدبير أمور خلقه فهو تعالى يلقى إليه ما يريد إيجاده وهو يجريه فيهم بإذنه تبارك شأنَّه، فالله تعالى هو الأصل، والوليّ عليه السلام هو الفرع والظل لله تعالى، والملك يأتمر بأمره لا يتخلَّف عنه أبداً، فإذا ما كان الملك هو الخلاّق لما في الأرحام والنافخ فيهم روح الحياة والسائق إليهم الأرزاق، والقابض لأرواحهم عند الممات، وهو الّذي يُجري الأنهار، ويُهطل الأمطار ويقدّرها، ويُنبت الأشجار ويونع الثمار ويومض البرق ويسوق الودق ويذري الرياح ويدير الشمس والقمر والنجوم في مجاري الأفلاك ويُجري الفلك في البحر ويزجره بالمدّ والجزر، وأنقذ النبيّ إبراهيم الخليل عليه السلام من النار، وأخرج النبيَّ يونس عليه السلام من بطن الحوت وجاوز النبيّ موسى بن عمران عليه السلام البحر وكلّمه من الشجرة ونطق على لسان النبيّ عيسى عليه السلام في المهد وتكلّم مع رسول الله ليلة المعراج من وراء الحجاب فيظهر الملك في أيّ صورة من الصور شاء ولا يشغله شأنٌ عن شأن.. فلِمَ لا يكون كلُّ ذلك للوليِّ الأعظم عليّ بن أبي طالب صلَّى الله عليه وآله..؟ فهو الذي نجّا نوحاً عليه السلام في السفينة ونجاه من الحوت الأكبر ملك البحار بأمر ربّه..وهو الذي أخرج يونس عليه السلام من بطن الحوت بإذن ربّه، وهو الذي جاوز بموسى عليه السلام البحر بأمر ربّه..وهو الذي أخرج إبراهيم عليه السلام من النار بأمر ربّه..وهو الذي أجرى الأنهار وفجَّر العيون وغرس الأشجار بإذن ربّه كما هو مذكور في حديث معرفته بالنورانية، وقد أسهبنا في الحديث عنها في بحثنا الآخر بعنوان: (خطبة البيان والتطنجية صحيحتان دلالةً) فلتُراجع في موقعنا الإلكتروني ففيها ما تقرُّ به العينُ ويثلج الفؤاد ويسكِّن النفس العليلة تجاه آل محمد عليهم السلام.

هذا هو أمير المؤمنين عليٌّ صلوات الله عليه وآله سرُّ الأسرار ونور الأنوار وغاية الغايات الذي بالدعاء بإسم عليّ الإمام الأعظم والناموس الأكبر يحوّل الله تعالى التراب تبراً، والأحجارَ جوهراً ودُرّاً، وينمو على الشجر اليابس ثمراً ويعيد الأعمى بصيراً ..قد خلقه الله قبل خلق الخلق بثمانين ألف سنة وأكثر، وأشهَدَه خلق السماوات والأرض وأودعه علم ما كان وما يكون فهو يعلم قطرَ الأمطار وكيلَ البحار وعددَ الرمال ووزنَ الجبال وأعدادَ النجوم وذراتَ ما في النجوم ولو شاء لحضر في جميع أقطار السماوات والأرض في لمحةٍ واحدة ويمدّ يده من فوق العرش ويأخذ ما تحت الثرى، وإليه إياب الخلق يوم القيامة وعليه حسابهم، لا يجوز أحدٌ الصراط إلّا بإذنه، ويقرأ جميع الكتب المنزلة في لمحةٍ واحدةٍ بلسانٍ واحدٍ، إلى غير ذلك من الأمور البديعة والأوصاف العجيبة لم ينكره أحدٌ أبداً، ولم ولن يتجرأ أحدٌ بالقول:إن هذه الأمور من صفات الله سبحانه وتعالى الخاصّة به، بل يعتقد ذلك كلّه في حقّه أشدَّ اعتقادٍ من غير أن يبحث عن رجال الخبر أو يقول أن مفاد أخبار الآحاد الظنُّ وهو غير كافٍ في الاعتقاديات وأشباه ذلك من الشكوك والشبهات، والدليل على ذلك أنّه سمع كثيراً من هذه الأوصاف في حقّ الملائكة مفرقة، ولم يقابل شيئاً منها بالإنكار ولا نسَبَ رواة أخبارها إلى الغلو في حق الملكِ، بل نقلها في محافل العوام إعجاباً لهم واستمالةً لقلوبهم، ولو أنّ أحداً منهم استبعد شيئاً من ذلك عاتبه وقال له: ألم تعلم أن الله على كلِّ شيء قدير، فإن كان هذا حال هؤلاء في حق الملائكة الذين جعلهم الله خدام آل محمّد الطاهرين عليهم السلام، فليت شعري ما الذي دعاهم إلى إنكار أمثال هذه الأوصاف في حقّهم ونسبة أخبارهم إلى الضعف، واتهام رواتها بالغلو والارتفاع، مع أنهم رووا الأخبار الكثيرة في باب الفقه وغيره التي لا مسرح للعقل فيها بحجة أنْ ليس للعقل في الفقه مسرحٌ ومجال، وتأويلهم للكثير من الأخبار في غير باب الفقه وفي غير باب الفضائل بما يتناسب ومشاربهم الأصولية وطرقهم الاستنباطية، أليس الأحرى بهم أن يؤولوا تلك الخطب الشريفة التي تناولت بعض أسرارهم وفضائلهم، لقد أوّلوا كثيراً من الأخبار في غير الفضائل ولكن عندما تصل النوبة لديهم إلى حق محمّد وآل محمّد وعلو شأنهم استوحشوا منه غاية الوحشة وكأنّما عُصِرت في عيونهم حبُّ الحصرم...! أعاذنا الله وجميع عباده المؤمنين من طبع القلوب وعمى الأبصار ووقر الإسماع وهو حسبنا ونعم الوكيل.

تنبيه الخاطر:من أروع ما قرأنا في معرفة أمير المؤمنين عليّ صـــلوات الله عليه وآله في بيان عظمة هذا الأمير الهمام والوليّ الفخّام ما كتبه حبيب الله الهاشمي الخوئي في شـــرحه لنهج البلاغة (ج 19 ص 323) نقلاً عن الفيض الكاشـاني في شـرحه لحديث قرب النوافل بعد الفرائض: قال عزّ وجلّ في الحديث القدسـي: " ما يتقرب إليّ عبدٌ من عبادي بشـئ أحبّ إليّ ممّا افترضـتُ عليه وإنّه ليتقرّب إليّ بالنافلة حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسـمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، و يده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته..".

فانظر إلى تفاوة القُربين ففي الأوّل كان اللّه سمع العبد وبصره ولسانه ويده، وفي الثاني كان العبد سمع اللّه تعالى وبصره ويده، فالواجبات أكثر ثوابا وأعلى مرتبة من المندوبات بتلك النسبة بين القُربين.

قال العلَّامة المحقّق نصير الدين محمّد الطوسي رحمه الله: العارف إذا انقطع عن نفسه واتّصل بالحقّ رأى كلّ قدرة مستغرقة في قدرته المتعلقة بجميع المقدورات، وكلّ علم مستغرقاً في علمه الذي لا يعزب عنه شيء من الموجودات، وكلّ إرادة مستغرقة في إرادته الَّتي لا يتأبّى عنها شيءٌ من الممكنات، بل كلّ وجود وكلّ كمال وجود فهو صادر عنه، فائض من لدنه فصار الحق حينئذ بصره الَّذي به يبصر، وسمعه الَّذي به يسمع، وقدرته الَّتي بها يفعل، وعلمه الَّذي به يعلم، ووجوده الَّذي به يوجد، فصار العارف حينئذ متخلقاً بأخلاق الله بالحقيقة .

قال بعض العارفين إذا تجلَّى الله سبحانه بذاته"[3] لأحدٍ، يرى كلَّ الذوات والصفات والأفعال متلاشية في أشعّة ذاته وصفاته وأفعاله يجد نفسه مع جميع المخلوقات كأنّها مدبّرة لها وهي أعضاؤها لا يلمّ بواحد منها شيء إلَّا ويراه ملما به، ويرى ذاته: الذات الواحدة؛ وصفته صفتها، وفعله فعلها، لاستهلاكه بالكليّة في عين التوحيد، ولما انجذب[إنجذبت] بصيرة الروح إلى مشاهدة جمال الذات استتر نور العقل الفارق بين الأشياء في غلبة نور الذات القديمة وارتفع التميز بين القدم والحدوث لزهوق الباطل عند مجيء الحقّ، وتسمّى هذه الحالة جمعاً، ولصاحب الجمع أن يضيف إلى نفسه كلّ أثر ظهر في الوجود وكلّ صفة وفعل واسم لانحصار الكلّ عنده في ذات واحدة فتارة يحكى عن هذا وتارة عن حال ذاك. ولا نعنى بقولنا قال فلان بلسان الجمع إلَّا هذا..

ثمّ قال الفيض بعد نقل كلام هذا العارف: ولعلّ هذا هو السرّ في صدور بعض الكلمات الغريبة من مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام في خطبة البيان وغيرها كقوله عليه السّلام: أنا آدم الأوّل، أنا نوح الأوّل، أنا آية الجبار، أنا حقيقة الأسرار، أنا مورق الأشجار، أنا مونع الثمار، أنا مجري الأنهار ... إلى أن قال عليه السّلام: أنا ذلك النور الَّذي اقتبس موسى منه الهدى، أنا صاحب الصور، أنا مخرج من في القبور، أنا صاحب يوم النشور، أنا صاحب نوح ومنجيه، أنا صاحب أيوب المبتلى وشافيه، أنا أقمتُ السماوات بأمر ربّي.. إلى آخر ما قال من أمثال ذلك صلوات الله وسلامه عليه . إنتهى كلام حبيب الله الخوئي.

(**الوجه الثالث**):إنَّ مجرد الطعن في هذه الخطب الشريفة بدعوى أن فيها إرتفاعاً عن مستوى الإمكان والحدوث، فمما لا يُلتفتُ إليه، وذلك لما لها من المعاني والمحامل التي تُصْرَف إليها، من باب حمل المتشابه اللفظي على المحكم العقلي واللفظي والإصطلاحي الكلامي، ومن باب أن في كلامهم سبعون ظهراً وسبعون بطناً، وأنهم يتكلمون بالكلمة ولهم منها سبعون وجهاً ومخرجاً كما جاء ذلك عن مولانا الإمام المعظَّم الصادق المصدَّق عليه السلام، وعلى قاعدة :" أن حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلَّا ثلاث: ملك مقرَّب أو نبيٌّ مرسل أو عبدٌ مؤمن امتحن اللهُ قلبَه للإيمان" وقولهم:" إن أمرنا هو الحقُّ وحقُّ الحقِّ، وهو الظاهر وباطن الظاهر، وباطن الباطن، وهو السر، وسر السر، والسر

3 : الأصح هو التجلي بصفاته وبآية من آياته وأعظم الآيات أمير المؤمنين عليّ صلَّى الله عليه وآله، فيمتنع عقلاً تجلي الله بذاته، لأن الله لا تدركه الأبصار، فقد ورد في تفسير التجلي[بأنه نور محمد وعليّ عليهما السلام] وفي نهج البلاغة: من خطبة له (عليه السلام) في الملاحم قال عليه السلام: [الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه الظاهر لقلوبهم بحجته].

المستسر، وسرٌ مقنع بالسر"...فإذا كان هذا حالهم وشأنهم عليهم السلام في مراداتهم فكيف يحصر كلامهم في شيءٍ مخصوص بمن يكون عقله قاصراً عن الإحاطة ببعض معاني كلامهم بحيث ينسب الكلام المنسوب إليهم بأنه غلو وباطل مع عدم إدراكه لشيء من ذلك...؟!... ولو أن العاجز عن إدراك كلامهم البليغ كان منصفاً مع نفسه والآخرين لكان نسب العجز إلى نفسه وعقله لا إلى بليغ كلامهم..!! ولكنَّ الجهل يطغي ويعمي ويصم.!...

(**الوجه الرابع**):إن إنكار هؤلاء المعممين الثلاثة وأمثالهم لمسألتي الخالقية والرازقية الصادرة من آلِ البيت الطيبين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، مبنيٌّ على فهمهم الكاسد للأخبار الناهية عن تفويض الله تعالى أمر الخلق والرزق لبعض أوليائه العظام عليهم السلام، ظنّاً منهم بأنَّه تفويض مستحيل لإستلزامه مغلولية يد الله تعالى في حين أن كلَّ شيء تحت إرادته وهيمنته..إلى آخر ما هنالك من خزعبلات هذا الصنف من المعممين..**وقد فنَّدنا أيضاً** في الجزء الأول من كتابنا الجليل (الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية: بحث بطلان نظريتي الجبر الأشعري والتفويض المعتزلي[4]) **مزاعمَ المنكرين** للتفويض التسبيبي الذي أوكله الله تعالى لبعض ملائكته وأنبيائه وأوليائه العظام المطهرين عليهم السلام، وذكرنا هناك الأقسام الستة للتفويض والتي منها التفويض السادس في الخلق والرزق والإماتة والإحياء، ولا بأس بذكره تعميماً للفائدة، وإليكم ما كتبناه هناك:

[**القســـم الســـادس**: التفويض في الخلق والرزق والتربية والإماتة والإحياء: هذا المعنى من التفويض قد اختُلف فيه بين المحققين وإنْ كانوا لم يتوغلوا فيه بشـــكلٍ دقيقٍ، بل كعادتهم في مثل هذه المطالب يتناولون طرفاً منها: إمَّا لحكمةٍ لم نطّلع عليها؛ وإمَّا لقصورٍ في فهمها .

وهذا القسم من التفويض له معنيان:

المعنى الأول:أنْ نقول بأنَّهم عليهم السَّلام يخلقون ويرزقون ويميتون ويحيون بقدراتهم وإراداتهم فهم الفاعلون لها حقيقة من دون استعانة بالقدرة الإلهية، وهذا واضح الفساد وهو عين الكفر وقد دلّت الأدلة العقلية على استحالته.

المعنى الثاني:إنّ الله تعالى يفعل هذه الأمور مقارناً لإرادتهم، وقد حصره المحدِّث المجلسي في المعجزات كشقّ القمر وإحياء الموتى وقلب العصا حية وغير ذلك من المعجزات، قال:(إن كلَّ ذلك مما يقع بقدرته سبحانه مقارناً لإرادتهم لظهور صدقهم فلا يأبى العقل من أن يكون الله تعالى خلقهم وأكملهم وألهمهم ما يصلح في نظام العالم ثم خلق كلَّ شيء مقارناً لإرادتهم ومشيتهم، هذا وإن كان العقل لا يعارضه كفاحاً لكنَّ الأخبار الكثيرة مما أوردناها في كتاب بحار الأنوار يمنع من القول فيما عدا المعجزات ظاهراً بل صريحاً، مع أن القول به ـ قول بما لا يعلم...)[5]. فحمل العلامة المجلسي المعجزات الصادرة عنهم عليهم السلام من قبيل استجابة الدعاء.

---

3 راجع :الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية بطبعاته الأربعة / بحث نظرية التفويض المعتزلي/أقسام التفويض .

4 مرآة العقول ج ص 143

ولكنَّ الحقَّ أنْ يُقال:ليس هناك أي دليل عقلي أو نقلي ينفي هكذا معنى من التفويض الذي أشرنا إليه ما دام الوليُّ عليه السلام له السلطنة الإلهية بقدرة الله تعالى على إيجاد كلِّ أمر كان في طي العدم، وليس إسرافيل الموكَّل بالإحياء وعزرائيل الموكَّل بالإماتة بأعظم من الوليّ الأكبر والحُجَّة العظمى على مَن في الأرض والسماء ما دام عملهما بقدرة الملك العلاّم..فما ثبت للأدنى يثبت للأعلى بطريقٍ أولى...وأين هو المجلسي صاحب البحار من الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام وأن معهم إثنين وسبعين حرفاً من الإسم الأعظم..؟ وأين هو من الأخبار التي فاقت التواتر الدالة على أن أمرهم صعب مستصعب، ذكوانٌ وعزٌ..؟! وعلى ماذا يحمل المجلسي أخبار"أمرنا الصعب المستصعب.."؟؛ يبدو لي أنه نسي ما ذكره في البحار تعقيباً على الخطبة النورانية حيث قال عليه السلام: (أنا الذي حملت نوحاً في السفينة بأمر ربي، وأنا الذي أخرجت يونس من بطن الحوت بإذن ربي..إلخ) حيث لم يشكل على فقرات الخطبة النورانية ولم يغمز بها أو يعقّب عليها سوى تعقيبه على جملة " أنا الذي حملت نوحاً عليه السلام في السفينة..".

إن إرادة آل محمَّد عليهم السلام هي إرادة الله تعالى فما يقومون به فإنَّما هو من إرادة الله تعالى ولا إثنينية مستقلة بين إرادته وإرادتهم..ولنا كلام رشيق في الجزء الثاني من كتابنا (شبهة إلقاء المعصوم عليه السلام في التهلكة ودحضها) صفحة 27 تفسيراً لقوله تعالى للآية السادسة عشرة: قوله تعالى:[وما تشاؤون إلَّا أنْ يشاء الله](الإنسان / 30) فليُراجع.

قال محمد حسين الطبطبائي في تفسير الميزان ج 8 ص 260 مفسراً للآية 143 من سورة الأعراف حول تجلي الله تعالى لخلقه بخلقه:[وفي بصائر الدرجات بإسناده عن أبي محمد عبد الله بن أبي عبد الله الفارسي وغيره فرفعوه إلى أبي عبد الله عليه السلام:(**أن الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش لو قُسِّم نورٌ واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم، ثم قال: إن موسى عليه السلام لما سأل ربه ما سأل، أمرَ واحداً من الكروبيين [في نسخة أخرى: أمر رجلاً من الكروبيين] فتجلى للجبل فجعله دكاً**). أقول: محصل الرواية أن **تجليه سبحانه يقبل الوسائط كما أن سائر الأمور المنسوبة إليه تعالى كالتوفي والاحياء والرزق والوحي وغيرها يقبل الوسائط فهو تعالى يتجلى بالوسائط كما يتوفى بملك الموت، ويحيي بصاحب الصور، ويرزق بميكائيل، ويوحي بجبرئيل الروح الأمين..**].انتهى.

وقال روح الله الموسوي الخميني ردَّاً على المجلسي:

[إنّ الله تعالى فوّض – لا على نحو الإستقلال وإنما بأمره وتدبيره – **بعضَ ملائكته على الإحياء والإماتة وحفظ النظام، كذلك فوّض بعض الكاملين من خلقه على الأمور التكوينية، ودور الملائكة في عمليّة الخلق والإماتة لا يكون من قبيل استجابة الدّعاء أو التفويض الباطل بل لقدرةٍ جعلها الله تعالى فيهم**، وهكذا جعل سبحانه تلك القدرة في بعض عباده الكاملين بحيث يكونون قادرين على أعمالٍ عظيمةٍ من الإحياء والإماتة والرزق والإيجاد والإعدام،

كما أنّ ملك الموت يقوم بالإماتة وعمله هذا لا يكون من قبيل استجابة الدّعاء، وإنَّ إسرافيل موكَّلٌ بالإحياء، وإحياؤه لا يكون من قبيل استجابة الدّعاء أو التفويض الباطل، فكذلك الوليُّ الكامل والنفوس الزكية القوية، مثل نفوس الأنبياء والأولياء قادرة على الإعدام والإيجاد والإماتة والإحياء بقدرة الحقّ المتعال، وليس هذا من التفويض المحال، ويجب أنْ لا نعتبره باطلاً، ولا مانع من تفويض أمر العباد إلى روحانية كاملة تكون مشيئته فانية في مشيئة الحق، وإرادته ظلال لإرادة الحق، ولا يروم إلَّا ما يريده الحقّ، ولا يتحرّك إلَّا إذا كان موافقاً للنظام الأصلح سواء كان في الخلق والتكوين أم التشريع والتربية، وملخَّص الكلام أنّ التفويض بالمعنى الأوّل لا يكون جائزاً في أيّ مجالٍ من المجالات، وأنّه مخالفٌ للبراهين القاطعة، وأمّا التفويض بالمعنى الثاني فجائزٌ في كلّ الأمور، بل إنّ النّظام العام للعالم لا يقوم إلَّا على أساس الأسباب "أبى الله أنْ يُجري الأمورَ إلاّ بأسبابها ". [1]].

مضافاً إلى ذلك: فما وجه الإستحالة في أن يكون خلقهم وإرزاقهم عليهم السلام بأمره تعالى لبيان عظمتهم عنده وتفضيلهم على عامة خلق الله تبارك ذكره ودعوى صاحب البحار تبقى مجرد دعوى فارغة لا تستأهل النظر فيها بسبب تهافت كلماته واضطرابها، فتارةً يقول بأن علامة الغلو هي نفي القائل عن الأئمة عليهم السلام سمة الحدوث وحكمه لهم بالألوهية والقدم، وتارة يكون الغلو بسبب الخلق والرزق..مع أن الخلق والرزق ليسا من عند أنفسهم بل هما بإذنٍ من الله تعالى..فالخالق والرازق الأصلي هو الله تعالى وهم تابعون لإرادته ومشيئته ويأتمرون بأمره..فما وجه الإشكال في ذلك يا تُرى..؟! فمن يخلق من الطين كهيئة الطير حتى لو كان على نحو الدعاء – كما ادَّعى المجلسي – فإن ذلك لا يخرج النبيّ عيسى عليه السلام من دائرة الخالقية تبعاً لإرادة الله تعالى، وهكذا حال إمامنا الباقر عليه السلام صنع من الطين فيلاً – أي صوَّره على صورة فيل – فتحوَّل إلى فيلٍ عظيمٍ فركبه وطار في الهواء حتى ذهب إلى مكة ومعه جابر بن يزيد الجعفي[1]..وحوَّل إمامُنا الصادق عليه السلام المفتاحَ إلى أسد[2]..وهكذا فعل إمامنا الكاظم عليه السلام سلَّط أسداً مصوَّراً على بعض الستور عندما سخر المهرج من الإمام الكاظم عليه السلام في مجلس هارون العباسي[3]..وهكذا فعل إمامنا الرضا عليه السلام حيث خاطب صورة الأسدين المصورين على مسندٍ فأكلا الحاجب الذي عاند الإمام الرضا عليه السلام في محضر المأمون العباسي فتحوَّلت صورة الأسدين إلى حيوانين مفترسين فأكلاه ولم يبقيا منه شيئاً [4].

---

[1] راجع الأربعون حديثاً لروح الله الخميني ص 487 – 488. في بحثه تحت عنوان: (إشارة إجمالية إلى معنى التفويض)؛ وقد تعمدنا نقل كلام الخميني، وذلك لأن المعممين الثلاثة المشار إليهم أعلاه لا يقدرون على نعته بالمغالي كما ينعتون غيره ممن قال بمقالته الحقّة..! ونحن نتحداهم بأن يتجرأوا ويحكموا عليه بالمروق من الدين لأنه قال بالتفويض الجائز للحجج الأطهار عليهم السلام..وهكذا الحال بالنسبة للطبطبائي صاحب تفسير الميزان..!!

[1] مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني ج 5 ص 10 ح 6.

[2] مدينة المعاجز ج 6 ص 126 ح 333.

[3] مدينة المعاجز ج 6 ص 314 ح 97.

[4] مدينة المعاجز ج 7 ص 144 ح 138.

وبناءً عليه:ليس من المستحيل ولا أنَّه من الشرك إذا فوَّض اللهُ النبيَّ عيسى عليه السلام فخلق من الطين طيراً، وفوَّض آل محمد فخلقوا من الطين والصورة والمفتاح الحديدي فيلاً وأسوداً..فإنَّ كلّ ذلك هو خلقٌ بإذن الله تبارك ذكره، فالخالق هو الله تعالى عبر حججه الأطهار عليهم السلام(..فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) المؤمنون14، فمن خلق طيراً وفيلاً وأسداً بإذن الله وفي طول إرادته فلا مانع في حقه أن يخلق الأرض والقمر والشمس والبشر بإذن من الله تعالى، والفاعل هو الله وليس النبيّ أو الإمام بالفاعلية الإستقلالية، فإن ذلك مستحيلٌ، بل هم عباد مربوبون، ولكنَّ الله تعالى شرَّفهم فأعطاهم القدرة على الخلق والرزق والإحياء والإماتة والرعاية والتدبير...إنَّهم أصحاب الولاية التكوينية المطلقة..فسبحان الله الذي خلقهم ورزقهم ونزههم وفضّلهم وأكرمهم..فتأملوا.

(**الوجه الخامس**):إن الروايات الظاهرة في غلو من قال بوجود وسائط في خلق الكون –كمفروض المسألة التي نبحث فيها – محمولة على كون تلك الوسائط مستقلة في الخالقية والرازقية والإماتة والإحياء والتدبير من دون ارتباط بالله تعالى، وهو مفروغ من بطلانه عقلاً ونقلاً، وتلك الأخبار هي في مقام بيان دفع توهم فريق من البشر كانوا وما زالوا يعتقدون بأُلوهية بعض الأولياء والأنبياء عليهم السلام مما يستلزم تعدد الآلهة وهو مقطوع البطلان والفساد..

إشكالٌ عويصٌ مفاده:إن ظاهر بعض النصوص تدلُّ على أن الله تعالى خلق محمداً وعليَّاً وفاطمة عليهم السلام ثم خلق جميع الأشياء، فأشهد الثلاثة المطهرين كيفية خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوّض أمورها إليهم..كما جاء في خبر مناقب الخوارزمي عن جابر ومحمد بن سنان المرويان في البحار ج 25 ص 339 – 340 ح 20 – 21 – 24. فكيف نوفق بين خطبة البيان والتطنجية وغيرهما مما ظاهره نسبة الخلق إليهم عليهم السلام فيقع التعارض الواضح..؟

وإليكم تلك الأخبار أولاً ثم نعالجها ثانياً:

1 – روى صاحب البحار عن كشف الغمة: من مناقب الخوارزمي عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:إن الله لما خلق السماوات والأرض دعاهنَّ فأجبنه فعرض عليهنَّ نبوتي وولاية عليّ بن أبي طالب فقبلتاها[فقبلنهما]، ثم خلق الخلق وفوَّض إلينا أمر الدين، فالسعيد من سعد بنا، والشقي من شقي بنا، نحن المحلُّون لحلاله والمحرّمون لحرامه .

2 – من كتاب رياض الجنان لفضل الله بن محمود الفارسي بالاسناد عن محمد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فذكرت اختلاف الشيعة فقال: إن الله لم يزل فرداً متفرداً في الوحدانية ثم خلق محمداً وعليّاً وفاطمة عليهم السلام فمكثوا ألف دهر ثم خلق الأشياء وأشهدهم خلقها وأجرى عليها طاعتهم وجعل فيهم ما شاء، وفوض أمر الأشياء إليهم في الحكم والتصرف والارشاد والأمر والنهي في الخلق، لأنهم الولاة فلهم الأمر والولاية والهداية، فهم أبوابه ونوابه وحجابه يحللون ما شاء و يحرمون ما شاء ولا يفعلون إلا ما شاء عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعلمون.

فهذه الديانة التي من تقدمها غرق في بحر الافراط ومن نقصـــهم عن هذه المراتب التي رتبهم الله فيها زهق في بر التفريط، ولم يوف آل محمد حقهم فيما يجب على المؤمن من معرفتهم، ثم قال: خذها يا محمد فإنها من مخزون العلم ومكنونه.

3 – ورواية محمد بن ســنان رواها المجلســي بســند آخر عن محمد بن ســنان نقلاً عن الكافي عن الْحُسَــيْن بْن مُحَمَّدٍ الأَشْعَرِيُّ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي الْفَضْلِ عَبْدِ اللَّه بْنِ إِدْرِيسَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي عليه الســـلام فَأَجْرَيْتُ اخْتِلَافَ الشِّـــيعَةِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّه تَبَارَكَ وتَعَالَى لَمْ يَزَلْ مُتَفَرِّداً بِوَحْدَانِيَّتِه ثُمَّ خَلَقَ مُحَمَّداً وعَلِيّاً وفَاطِمَةَ فَمَكَثُوا أَلْفَ دَهْرٍ ثُمَّ خَلَقَ جَمِيعَ الأَشْـيَاءِ فَأَشْـهَدَهُمْ خَلْقَهَا وأَجْرَى طَاعَتَهُمْ عَلَيْهَا وفَوَّضَ أُمُورَهَا إِلَيْهِمْ فَهُمْ يُحِلُّونَ مَا يَشَاؤُونَ ويُحَرِّمُونَ مَا يَشَاؤُونَ ولَنْ يَشَاؤُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّه تَبَارَكَ وتَعَالَى ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ هَذِه الدِّيَانَةُ الَّتِي مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ ومَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا مَحَقَ ومَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ خُذْهَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ . أصول الكافي ج 1 ص 441 ح 5.

4 – روى الكليني عَنْ سَــهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَمَّادٍ عَنِ الْمُفَضَّــلِ قَالَ: قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام كَيْفَ كُنْتُمْ حَيْثُ كُنْتُمْ فِي الأَظِلَّةِ ؟ فَقَالَ: (يَا مُفَضَّلُ كُنَّا عِنْدَ رَبِّنَا لَيْسَ عِنْدَه أَحَدٌ غَيْرُنَا فِي ظُلَّةٍ خَضْرَاءَ نُسَبِّحُه ونُقَدِّسُه ونُهَلِّلُه ونُمَجِّدُه ومَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ ولَا ذِي رُوحٍ غَيْرُنَا حَتَّى بَدَا لَه فِي خَلْقِ الأَشْيَاءِ فَخَلَقَ مَا شَاءَ كَيْفَ شَاءَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وغَيْرِهِمْ ثُمَّ أَهْوَى عِلْمَ ذَلِكَ إِلَيْنَا). الكافي ج 1 ص 441 ح 7.

حلّ الإشكال والتعارض بأمورٍ هي التالي:

(**الأمر الأول**): خلق الســماوات والأرض في رواية جابر ليس فيها ما يدل على ما جاء في رواية إبن سـنان من أن الله تعالى خلق الأشياء وأشهدهم على خلقها..وكلمة "**خلق**" في جملة"**خلق الأشياء**" في رواية إبن سنان والمفضل لا تعني بالضــرورة أنه عزّ وجلَّ خلقها مباشــرةً بل لعلَّه خلقها بتفويض إلى النبيّ وأمير المؤمنين والصــدّيقة الكبرى فاطمة عليهم السلام..فالخالق الحقيقي هو الله تعالى بينما النبيّ وآله الأطهار صلوات الله عليهم وسائط من عند الله تعالى في الخلق..

(**الأمر الثاني**): لعلَّ الله تعالى أشــهدهم خلق الســماوات والأرض الأولين اللذَين كانا في تلك العوالم الســابقة على العالم الآدمي، أي اللذَين كانا قبل سمائنا وأرضنا هذه، حيث كانوا عليهم السلام شهداء عليها، وهو ما ورد في بعض الأخبار من أن الله تعالى خلق ألف ألف آدم قبل آدمكم هذا (أي مليون).. فآدم الذي نوَّه عنه القرآن الكريم هو الأب الأعلى لهذا النوع الموجود على هذه البسيطة وكلهم من نسله ولكن ليس في القرآن ولا الأحاديث ما يدل على أنَّه الأول من هذا النوع بل في الكتاب والحديث ما يدل على خلاف ذلك ففي تفسير قوله تعالى: [بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ] فقد وردت عدة أخبار عن الصادقين سلام الله عليهم مضمونها، أو نصها تقريباً ما يدل على ذلك، ففي كتاب التوحيد باسناده إلى عمرو بن شمر عن جابر بن يزيد قال: سـأل أبا جعفر عليه السـلام عن قول الله عز

وجل:" **أفعيينا بالخلق الأول** بل هم في لبسٍ من خلق جديد" قال: يا جابر تأويل ذلك أن الله عزَّ وجلَّ إذا افنى هذا الخلق وهذا العالم، وسكن أهلُ الجنَّةِ الجَنَّةَ وأهلُ النارِ النارَ، جدَّد اللهُ عالماً غير هذا العالم، وجدَّد خلقاً من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدونه، وخلق لهم أرضاً غير هذه الأرض تحملهم وسماء غير هذه السماء تظلهم ،لعلك ترى أن الله إنما خلق هذا العالم الواحد أو ترى أن الله لم يخلق غيركم ؟ بلى والله لقد خلق ألف ألف عالم، وألف ألف آدم، أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين). وفي حديث آخر في تفسير نور الثقلين ج 1 ص 17 ح 72 نقلاً عن الخصال بإسناده إلى العباد بن عبد الخالق عمَّن حدثه عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: (**إن لله عز وجل اثنى عشر ألف عالَم، كلُّ عالَمٍ منهم أكبر من سبع سماوات وسبع أرضين، ما يرى عالم منهم أن لله عزَّ وجلَّ عالماً غيرهم وأنا الحُجَّة عليهم**). والأخبار بهذا المضمون كثيرة تجدونها في كتاب الخصال والتوحيد للصدوق رحمه الله..وصريح هذه الأخبار دالة على أنّ هناك ما لا يحصى من الآدميين والعوالم وهو الموافق لعدم تناهي قدرته تعالى وأن يديه مبسوطتان، وأن فيضه ما زال ولا يزال ولا ينقطع أبداً في حالٍ من الأحوال، وهو ما أشار إليه المولى تعالى(وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلَّت أيديهم ولعنوا بما قالوا). فليس آدمنا هو الأول ولن يكون هو الأخير..ومما يؤكد ما أشرنا إليه – من أن إشهاد الله تعالى للنبيّ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام كان في أوائل خلق الله للعالم الأول من العوالم المليونية (ألف ألف عالم) – بما جاء في رواية أبي حمزة الثمالي قال: سمعت عليَّ بن الحسين عليهما السلام يقول:[إن الله خلق محمداً وعليّاً والطيبين من نور عظمته، وأقامهم أشباحاً قبل المخلوقات ثم قال: أتظن أن الله لم يخلق خلقاً سواكم ؟ بلى والله لقد خلق الله ألف ألف آدم وألف ألف عالم ، وأنت واللهِ في آخر تلك العوالم [(1)]].

وخبر أبي حمزة الثمالي المتقدم مفسِّرٌ لعملية إشهاد الله تعالى خلق السماوات الأولى والأراضين الأولى، والنبيّ وآلُه الطيبون كانت لهم ظهوراتهم في تلك العوالم باعتبارهم سادة الخلق أجمعين، من هنا قال العلامة المجلسي رحمه الله تعالى:[والإختلافات الواردة في أزمنة سبق الأنوار يمكن حملها على **اختلاف معاني الخلق ومراتب ظهوراتهم في العوالم المختلفة** فإن الخلق يكون بمعنى التقدير، وقد ينسب إلى الأرواح وإلى الأجساد المثالية وإلى الطينات ولكلٍّ منها مراتب شتى..].ومما يزيدنا يقيناً بما أشرنا إليه ما ورد في خطبة لأمير المؤمنين عليّ صلَّى الله عليه وآله رواها المسعودي في إثبات الوصية قال فيها عليه السلام (فأيّ بشرٍ مثل آدم فيما سابقت به الأخبار وعرفتنا كتبك في عطاياك..؟). البحار ج 25 ص 27 ح 46 فراجع.

إذاً ..كان هناك بشرٌ قبل أبينا آدم عليه السلام، وكان هناك سماوات وأرضون..بمقتضى قوله تعالى في الآية:(**أفعيينا بالخلق الأول**..) وضمّ الأخبار إليها.. من هنا تذهب بعض الأقوال إلى أن أولاد آدم عليه السلام تزوجا من آدميتين من السلالة الأخيرة التي كانت على الأرض..ولا يهمنا مدى صحة هذا القول، بل المهم هو إثبات أن ثمة عوالم سابقة

---

(1) راجع بحار الأنوار ج 25 ص 25 ح 45.

على عالمنا هذا..ووجود تلك العوالم يستلزم وجودَ سماواتٍ وأراضين وغير ذلك من الأشياء التي أشهد الله تعالى عليها النبيَّ وآلَه الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين.

(**الأمر الثالث**):ما المانع في أن يكون خلقهم للسماوات والأرض – بإذن الله تعالى – خاصاً في عالمنا الآدمي..؟ فلا العقل يمنع، ولا النقل كذلك، **فقد أشـــهدهم – بالقطع واليقين – عملية خلقه للعالم الأول**، ثم **فوَّضـــهم عملية الخلق** في العالم الأخير الآدمي.. فخلقهم نظير خلق نبيّ الله إبراهيم عليه الســـلام للطيور بعد تقطيعها، فقد أمات الطيور ثم باشـر بالتنفيذ عملية الإحياء..(إشـهاد قلبي لإبراهيم بقدرة الله ثم تنفيذ بأمرٍ من الله تعالى) وهكذا حال آل الله تعالى: **شـهدوا خلق الأشـياء ثم باشـروا بعملية الخلق في العالم الأخير**.. ومما يؤكد ذلك هو قوله عليه السـلام في رواية المفضّل (**ثم أنهى علم ذلك إلينا) أي أبلغنا العلم بكيفية خلقه للخلق وأعطانا القدرة على الخلق**..تماماً كما فعل نبيُّ الله إبراهيم عليه الســلام حيث طلب من الله تعالى حقيقة معرفة تفاصـيل إحياء الله تعالى للموتى {وإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـــي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـــكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَـــعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }البقرة260..ولكنَّ الفارق بينه وبين آل الله تعالى واضح، فإبراهيم عليه السلام طلب حتى رأى بينما رسول الله وأهل بيته صلَّى الله عليهم لم يطلبوا بل إن الله تعالى ابتدأهم بالعلم من دون طلب بســـبب قربهم منه ولأنهم أحباؤه الحقيقيون الكاملون بالمحبة والإصـطفاء، قال عليه السـلام في زيارة آل ياسـين: (لا حبيب إلَّا هو وأهله..)، فحديث المفضَّـل واضـح البيان بأنه تعالى أنهى علم الخلق كلّه إليهم، فهم عليهم السّـــلام عالمون بخصـــوصـــيات المخلوقات من الملائكة والنبيين وغيرهم، وليس للأنبياء بل ولا للملائكة ذلك، كما لا يخفى..فسـبحان مَن وهبهم وأزلفهم علمَ كيفية الخلق بأصـنافها وأحوالها إليهم عليهم السّلام وأعطاهم القدرة على الخلق، فهم وسائط فيضه وخزانة أسراره وهيبة جلاله .

زبدة المخض:بعد إشـهاد الله لهم خلق السـماوات والأرض في العالم الأول المليوني، فوّضـهم تعالى بخلق السـماوات والأرض في العالم الآدمي الأخير كما ورد التعبير عنه بـ (وأنت واللهِ في آخر تلك العوالم)، تأملوا يرحمكم الله تعالى.

(**الوجه السادس**):إنَّ العقول الناقصة – حتى لو كان أصحابها من ذوي العمائم التي تناطح السحاب – ليست بحُجَّةٍ في جرح الأمور الدينية النظرية وتعديلها مالم يصدِّقها الكِتابُ والسُنَّة النبوية والولويَّة، فلا حكومة لها مستقلة في تلك الأمور، بل الواجب عليها إتباع ما يصدر عن بيت النبوة والولاية، فإنْ عرفَتْ معانيه فبها ونعمت، وإلَّا فيجب على هذه العقول الناقصة السكوت والتسليم والسؤال من الله عزَّ وجلَّ أن يعلّمها مالم تكن تعلم، ولكن هيهات أين أبناء الزمان من هذه النصيحة..! فإنّ كلَّ برّ وفاجر يرى عقله معصوماً لا يغفل، وعالماً لا يجهل ،كأنَّ كتابَ الله عليهم نزل وميراث النبوة إليهم إنتقل، فهم أمناء الوحي والتنزيل وفي بيوتهم نزل أمين الله جبرائيل عليه السلام .

لقد جعلوا كتاب الله وسنّة نبيّه الكريم صلَّى الله عليه وآله تابعَينِ لآرائهم الفاسدة وأهوائهم الكاسدة، فتبّاً لهم وتعساً، لأنّهم لم يراعوا الرواية حقَّ رعايتها من الدراية والتأمل بمعانيها ومفرداتها طبقاً للغة والإصطلاح.

زبدة المخض: يجب على العقول إتباع ما يرد عليها من النواميس الشرعية، فإنْ عرَفته قبلته وآمنت به على التفصيل وإن لم تعرفه لقصور استعدادها في معرفة بعض المعاني العالية، تركته في سُنبله وعدم التعرّض لتأويله وتفصيله، وإنْ لم تعرف صدوره على القطع كما لو لم يتبين لها ذلك فلا يجوز لها أن تنكره وتطرحه بمجرد عدم فهمها لمعناه لأنّ الله لم يجعل غير المعصوم حُجّةً على الخلق ولا على نفسه إلَّا بعد البيان من المعصوم عليه السلام، بل يجب عليها السكوت وردّ علمه إلى الله والراسخين في العلم، إذ لعلّ في الحجاز أو اليمامة من يعرفه ويعرف موردَه ومصدره فدخل دار السلام وعرف لحن الكلام، فأنِس بما استوحش منه المكذّبون وأباه المسرفون، ولا حُجَّة لمن لا يعلم على مَنْ يعلم، هذا وإنْ لم تُطعك نفسك على السكوت وأبت إلَّا الوقوف على مبدئه ومنتهاه فأطلبه من هؤلاء المشار إليهم، فإن الله تعالى بلطفه لا يخلّي الأرض من أمثالهم، أو إعمل بما علمت على سبيل القطع من دلالات الكتاب والسُنَّة يعلّمك الله مالم تعلم ، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:" من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم"، وفي الحديث القدسي قال الله عزَّ وجلَّ: (ما زال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها).

والسّرّ في ذلك:أن حقيقتك الوجودية صفة الموجِد العليم، فكلما جاهدت نفسَك ومحّضتها بصلابة التأديبات الإلهية نعُمت ولطُفت، فظهر فيها نورُ جانب الربوبية الوجودية العلميّة،وضعُفَ فيها جانب ظلمة الإنيّة التي هي الجهل والفقر والمعصية، والعكس هو الصحيح.

وبهذا البيان:نكون قد دفعنا ما أشكله بعضُ حملةِ العلم على الخطبتين المشهورتين..وهم ممن لم يراعوا حقّ العلم ولم يحفظوا حدوده..هداهم الله سبحانه إلى طريق السداد وألجم النواصب منهم بلجام النيران وأعاذنا منهم ومن شرورهم بحقِّ الحقّ والقائل بالصدق محمّد وآله الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين سيَّما قائمهم المعظَّم الإمام الخاتم الحُجَّة بن الإمام الحسن أرواحنا لشسع نعله الفداء، وجعلنا من أعوانه وخيرة أنصاره، والله من وراء القصد..وصلِّ اللهم على نبيّك محمد الخاتم وآله الطيبين الأنوار المطهرين، سفن النجاة وقادة الأمم وأولياء النعم وعناصر الأبرار ودعائم الأخيار وساسة العباد وأركان البلاد وأبواب الإيمان وأمنار الرحمان وسلالة النبيين وصفوة المرسلين، والعن من عاداهم وأنكر فضائلهم ومعاجزهم ومعارفهم وأسرارهم وأحوالهم العظيمة وظلاماتهم الحزينة..

والسلام عليكم ورحمته وبركاته.

عبد الحُجَّة القائم المهدي عليه السلام/محمد جميل حمود العاملي ـ بيروت بتاريخ 15 جمادى الأولى 1433هـ.

منقحة ومزيدة بتاريخ 23 شهر رمضان 1445 هجري قمري/ بيروت.

****

المحتويات

مقدمة وجيزة وفيها ما يلي: إختراق الحوزات العلميّة الشيعيّة بتيارات أشعرية ومعتزلية وصوفية / العمل بالأقيسة والإستحسانات في مقابل الآيات والأخبار / ما الحلُّ حيال تكالب العفاريت على معالم آل محمَّد صلوات الله عليهم..؟/ صفات العلماء المتقين/ التشكيك في الخطب الثلاث: البيان والتطنجية والإفتخارية.

الشروع في الإجابة:

1 – الخطب الثلاث في غاية البلاغة والفصاحة.

2 – المعنى اللغوي والإصطلاحي لكلمة "طنتجين".

3 – التشكيك في خطبة البيان.

4 – الأسباب الداعية إلى التشكيك بالخطبة البيانية، منها: ضعف سندها ودلالتها بحسب زعم البعض.

5 – الإيراد على ضعف السند بأمورٍ عديدة.

6 – إشكالٌ وحلٌ/ وجه الإشكال على خطبة البيان..والرد على الإشكال.

7 – مشكلة المشككين في خطبة البيان تكمن في الأخذ بالمتشابه وترك المحكم..

8 – يجب على العلماء أن يردوا المتشابه إلى المحكم.

9 – الأدلة النقلية من الكتاب والأخبار أمرت بعرض دلالة الأخبار على القرآن والسُنَّة القطعية.

10 – إستعراض الأخبار.

11 – الإشكال على ضعف دلالة الخُطَبِ الثلاث/ والإيراد على الإشكال بوجوهٍ متعددة.

12 – سيِّدٌ معمم ينكر تأويل الخبر المتشابه ببعض ألفاظه؛ والرد عليه..

13 – ما معنى أن أهل البيت عليهم السلام يخلقون ويرزقون بإذنٍ من الله عزَّ وجلَّ..؟

14 – الخلق والرزق في طول إرادة الله تعالى.

15 – معنى الخالقية والرازقية المستحيلة عقلاً وشرعاً.

16 – شواهد قطعية من الكتاب الكريم على صحة الخالقية والرازقية لبعض العباد الكاملين من الأنبياء والأولياء العظام عليهم السلام.

17 – معممون مقصِّرون..!

18 – هل أن صفتي الخلق والرزق عامتان أم خاصتان..؟

19 – كتاب الله عزَّ وجلَّ يصنِّف الخالق والرازق إلى قسمين.

20 – أبى الله تعالى أن يجري الأمور إلَّا بأسبابها..

21 – قانون السببيَّة والمسببيَّة محكم في كلِّ شيء.

22 – ثمة قرائن في الخطب الثلاث تصرف الأُلوهية عن الأئمة الأطهار عليهم السلام.

23 – أقسام التفويض/ بيان القسم المتنازع عليه في الخلق والرزق والإماتة والإحياء والتدبير.

24 – للتفويض معنيان.

25 – علاج الروايات الظاهرة في غلو من قال بوجود وسائط في خلق الكون.

26 – فهمنا لرواية محمد بن سنان وجابر والمفضَّل.

27 – كيفية حلنا للتعارض الحاصل بين روايات الخلق بعدة أمور مهمة .

28 – علاجنا للتعارض لم يسبقنا إليه سابق ولله الحمد والشكر..

29– معنى قوله عليه السلام لأبي حمزة الثمالي:" أنت في آخر العوالم..".

30 – هناك عوالم سابقة على عالَم آدم عليه السلام بلغ مقدارها مليون عالَم.

31 – إن الله تعالى أشهد رسولَه وآلَه الأطهار (صلَّى الله عليهم أجمعين) على خلقه ثم أعطاهم القدرة على الخلق.

32– المقايسة بين النبيّ إبراهيم عليه السلام وبين رسول الله وأهل بيته المطهرين صلَّى الله عليهم أجمعين .

33 – العقول الناقصة – حتى لو كان أصحابها من ذوي العمائم التي تناطح السحاب – ليست بحُجَّةٍ في جرح الأمور الدينية النظرية وتعديلها..

34 – زبدة المخض/ والخاتمة.

والحمد لله ربّ العالمين وصلِّ اللهم على رسولك خاتم النبيين الحبيب محمَّد وأهل بيته النجباء المصطفين، وزد من لعناتك على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين..والسلام على من اتبع الهدى..